جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الأنا والآخر في رواية
"أن تبقى" للكاتبة خولة حمدي
(دراسة في النقد الثقافي)

الدكتورة

شيماء محمد حمدي حسن

مدرس الأدب الحديث بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب-
جامعة السويس - جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الأنا والآخر في رواية " أن تبقى " للكاتبة خولة حمدي (دراسة في النقد الثقافي)

شيماء محمد حمدي حسن

قسم الأدب الحديث بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب- جامعة السويس ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: shaemaaa@yahoo.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الصور الذهنية والقوالب النمطية الجامدة، التي انطبعت في الأذهان؛ لما لها من تأثير على طبيعة العلاقة بين (الأنا العربية) و(الآخر الغربي) .

وفيما يخص منهجية البحث، فقد استند البحث على المذهب الثقافي لـــ (إدوارد سعيد) بشكل عام، وعلى رؤيته لتمثيل المُخْتلف بشكل خاص، والتي تلخصت في أن الدراسات الاستشراقية منحت لنفسها الحق في تمثيل الأنا، ووضعتها في قوالب جامدة، تأبى التغيير، مما أثّر على العلاقة بين (الأنا العربية) و(الآخر الغربي).

وقد اختار البحث رواية (أن تبقى) للكاتبة "خولة حمدي"، ولعل من أسباب اختيار تلك الرواية، أنها تعتبر من الروايات العربية التي طرحت تلك الإشكالية، وتعرضت للصور الذهنية، بل وحاولت الكشف عن زيفها أيضا، هذا إلى جانب تناولها لمجموعة من القضايا التي ارتبطت بتلك الإشكالية، والتي منها: الهجرة غير الشرعية والمشكلات التي يتعرض لها المُختلف سواء جغرافيا أو سياسيا أو دينيا أو ثقافيا، كما أظهرت محاولة (الأنا العربية) طمس هويتها؛ رغبة في الاندماج مع (الآخر الغربي) .

الكلمات المفتاحية: الأنا والآخر ، الثنائيات ، رواية أن تبقى ، خولة حمدي ، النقد الثقافي .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The Ego and the Other in the novel "To Stay" by Khawla Hamdy (Study in Cultural Criticism)

Shaima Mohammed Hamdi Hassan
Department of Modern Literature, Department of Arabic Language and Literature - Faculty of Arts - Suez University - Arab Republic of Egypt
Email: shaemaaa@yahoo.com

Abstract

This research seeks to shed light on the mental images and the rigid stereotypes that impressed in the minds; Because of its impact on the nature of the relationship between the (Arab I) and the (Western Other.(

With regard to the research methodology, the research was based on the cultural doctrine of (Edward Said) in general, and on his vision of representing the different in particular, which was summarized by the fact that Oriental studies granted itself the right to represent the ego, and placed it in rigid molds that refuse to change, which affected the The relationship between the (Arab I) and the (Western Other)

The research chose the novel (to remain) by the writer 'Khawla Hamdi', and perhaps one of the reasons for choosing that novel is that it is considered one of the Arab novels that presented this problem, and it was exposed to mental pictures, and even tried to reveal its falsehood as well, in addition to dealing with a number of issues that It has been linked to that problem, which includes: illegal immigration and the problems that the different are exposed to, whether geographically, politically, religiously or culturally, as shown by the (Arab ego) attempt to obliterate its identity; A desire to integrate with the (Western Other).

Keywords : the ego and the other, dualities, the novel to stay, Khawla Hamdi, cultural criticism.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدَّمة

شهدت الساحة النقدية اهتماما ملحوظا بدراسة إشكالية العلاقة بين (الأنا العربية) و(الآخر الغربي)، حتى شكلت تلك الثنائية محورا رئيسا في كثير من الدراسات الأدبية والثقافية، وباتت تشغل حيزا واسعا من الحضور في الرواية العربية المعاصرة.

ومع كثرة الدراسات التي تناولت هذه الإشكالية، تعددت وتنوعت طرق التناول والمعالجة؛ فبعض الدراسات انشغلت بتسجيل الموقف الحضاري للأنا والآخر، وبعضها اهتم برصد الأنماط التي تتجلى فيها العلاقة بينهما، في حين تطرق بعضها إلى الإعلاء من شأن الآخر والانبهار بتقدمه أو الاتجاه إلى معاداته ورفض الاندماج معه، ومن ثم الاتجاه إلى الانغلاق والتقوقع حول الذات.

ولعل بعض الدراسات الثقافية حاولت النظر إلى هذه الإشكالية من خلال ربطها بجذورها التاريخية والسياسية؛ كمحاولة للوقوف على أبعاد تلك الإشكالية ورؤيتها بشكل مغاير، ومن هذه الدراسات ما قام به (إدوارد سعيد) في كتابه (الاستشراق)، والذي أكّد فيه أن الدراسات الاستشراقية، التي قام بها المستشرقون لدراسة الشرق، كانت السبب الرئيس في تلك الإشكالية، بل ومازالت المسؤول الأول عن استمرارها أيضا.

إن تلك الدراسات الاستشراقية منحت لنفسها الحق في تمثيل (الأنا العربية) ورسم صور لها، بل ووضعها في قوالب جامدة، لا تتغير بمرور الزمن؛ وذلك لأهداف سياسية واستعمارية في المقام الأول؛ بدافع إعلان الهيمنة الغربية على الشرق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تلك الهيمنة الغربية التي أوجدها الفكر الاستعماري، كانت المسؤولة عن الصور الذهنية، التي تحكمت في نسج العلاقة بين الأنا والآخر، حتى أن هذه الصور استمرت إلى وقتنا هذا، فهى صور كُتب لها الاستمرار، والانتقال عبر الأجيال، حتى أصبحت جزءا من النسيج الثقافي لهم، فما زالت (الأنا العربية) ترى الآخر بتقدمه، وما زال (الآخر الغربي) يتّبع منطق السيطرة والهيمنة ويرفض محاولات الاندماج مع (الأنا العربية)، بل ويرفض أيضا إعادة النظر في تلك الصور التي تغلغلت في الأذهان.

ولعل استمرار تلك الإشكالية في الحضور والاستحواذ على حيز كبير من الدراسات الأدبية والثقافية، كان بسبب ثبات تلك الصور التي أوجدها الاستشراق، والتي انطبعت في أذهان الأنا والآخر معا، رغم التقدم الحادث في شتى المجالات، ورغم الثورة الهائلة التي شهدها العالم في مجال الاتصالات ووسائل التواصل المتعددة، والتي أدت إلى أن أصبح العالم كله قرية صغيرة، مما هيّأ الفرصة للالتقاء والتواصل بين جنسيات مختلفة على صفحات التواصل الاجتماعي، فكيف يكون ثبات تلك الصور مع التحول الحادث في شتى المجالات؟ وكيف يمكن الفصل بين البشر حسب التوزيع الجغرافي رغم تماهي الحدود وإمكانية تبادل الفكر ؟

وقد ساعد على استمرار طرح تلك الإشكالية أيضا، محاولة (الأنا العربية) إيجاد حيزٍ لها، ترسمه لذاتها؛ للتأكيد على الاعتراف بهويتها، ومن ثمَّ إقامة حوار مع الآخر؛ بغية الوصول إلى هدم تلك الصور المزيفة وبناء صور جديدة من خلال التعايش والتفاعل دون النظر إلى اختلاف الهوية أو التوزيع الجغرافي للمجتمعات.

والواقع أن استمرار إعلان الفكر الغربي لمبدأ المساواة واحترام حقوق الغير، والتناقض القائم إلى يومنا هذا بين هذا القول وبين الفعل الذي يؤكد التعصب والعنف والعنصرية، كما أن استمرار التأكيد على امتلاكهم المعرفة دون غيرهم، مع غياب ذلك عمليا، وخصوصا في ظل الأحداث الأخيرة من تفشي فيروس كورونا المستجد، ومن صراعات عنصرية متعصبة ضد المختلف عنهم، يؤكد أن تلك الإشكالية لا زالت قائمة ومترسخة في الأذهان مع الرفض التام إلى تغييرها والاعتراف بزيفها.

فرغم كل ما تثبته تلك الأيام من عدم مصداقية تلك الصور، سواء فيما تمر به الدول الغربية من صراعات داخلية وأزمات تطفو على السطح، ورغم عدم قدرتها على الوصول إلى السيطرة على فيروسات، تدمر تلك المركزية الغربية وتضربها في مقتل، إلا أن تلك القوالب الجامدة الثابتة التي خلقتها النظرة الاستعمارية، والتي تشهد بتقدم (الآخر الغربي) مقابل تخلف ورجعية (الأنا العربية)، ما زالت تسيطر على الأنا والآخر معا، مما يدل على أن تلك الصور التي رسمها الاستشراق كانت أقوى بكثير من تلك الأحداث التي تثبت للرائي عكسها.

وفي ضوء ما سبق يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على تلك الصور الذهنية والقوالب النمطية الجامدة، التي انطبعت في الأذهان؛ لما لها من تأثير على طبيعة العلاقة بين (الأنا العربية) و(الآخر الغربي) .

وفيما يخص منهجية البحث، فقد استند البحث على المذهب الثقافي لـ (إدوارد سعيد) بشكل عام، وعلى رؤيته لتمثيل المُخْتلف بشكل خاص، والتي تلخصت في أن الدراسات الاستشراقية منحت لنفسها الحق في تمثيل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأنا، ووضعتها في قوالب جامدة، تأبى التغيير، مما أثّر على العلاقة بين (الأنا العربية) و(الآخر الغربي).

وقد اختار البحث رواية (أن تبقى) للكاتبة "خولة حمدي"، ولعل من أسباب اختيار تلك الرواية، أنها تعتبر من الروايات العربية التي طرحت تلك الإشكالية، وتعرضت للصور الذهنية، بل وحاولت الكشف عن زيفها أيضا، هذا إلى جانب تناولها لمجموعة من القضايا التي ارتبطت بتلك الإشكالية، والتي منها: الهجرة غير الشرعية والمشكلات التي يتعرض لها المُختلف سواء جغرافيا أو سياسيا أو دينيا أو ثقافيا، كما أظهرت محاولة (الأنا العربية) طمس هويتها؛ رغبة في الاندماج مع (الآخر الغربي) .

وأضف إلى ذلك أن الرواية سلطت الضوء على العلاقة بين الأنا والآخر في أنماطها المتعددة وصورها المختلفة، وانطلقت من هذه الصور، التي ترسّخت في الأذهان، لرصد إشكالية العلاقة بينهما، وبالتالي الوصول إلى تقديم معالجة لتلك الإشكالية .

ومن هنا طرح البحث مجموعة من الأسئلة الإجرائية التي تُحدد العلاقة بين الأنا والآخر من خلال تلك الرواية، والتي منها :

- كيف استطاعت الصور الذهنية أن تحدد العلاقة بين الأنا والآخر؟
- ما أثّر طمس الهوية العربية على ترسيخ الصور الذهنية الاستعمارية داخل الأنا والآخر؟
- كيف استطاعت الرواية الكشف عن زيف الصور الذهنية التي ترسخت في النسيج الثقافي للأنا والآخر؟
- هل كان للكشف عن زيف الصور الذهنية دورٌ في إحداث تحول وتغيّر داخل الأنا أو الآخر؟

- ما الدور الذي قامت به وسائل الإعلام الموجهة في التأكيد على تلك الصور الذهنية؟
- كيف يمكن إقامة جسور للتواصل وخلق حوار بنّاء بين الأنا والآخر؟

وقد استوجب ذلك تقسيم البحث إلى مدخل نظري ومبحثين وخاتمة، أما المدخل النظري فقد تناول رؤية (إدوراد سعيد) لمصطلح التمثيل، وكيف أعطى الآخر الحق لنفسه في تمثيل الأنا ووضعها في قوالب جامدة لا تتغير بمرور الزمن، بالإضافة إلى الحديث عن الفكر الغربي الذي تتناقض أقواله مع أفعاله، وذلك بدعوته المستمرة إلى مواكبة التطور وقبول التغيير واحترام المُختلف عنه، رغم رفضه تغيير تلك الصور وإعادة النظر إلى (الأنا العربية) في ضوء مستجدات العصر، أما المبحث الأول فقد تناول أثر الصور الذهنية على الأنا العربية، وكيف استطاعت تلك الصور أن تتوغل في النسيج الثقافي للأنا، وبالتالي كيف أثرت في نسج العلاقة بينه وبين الآخر، كما تناول أثر طمس الهوية العربية في التأكيد على تلك الصور، التي خلقها الاستعمار للأنا، وتثبيتها في الأذهان وعدم قبول الآخر لتغييرها، بالإضافة إلى تناوله أهمية تمسّك الأنا العربية بهويتها؛ حتى تستطيع إقامة حوار إنساني بنّاء مع الآخر، تحاول من خلاله إلغاء الصور المزيفة التي رسّخها الاستشراق في الأذهان، أما المبحث الثاني فقد تناول أثر الصور الذهنية على الآخر الغربي، وكيف استطاعت أن تنسج العلاقة بينه وبين الأنا، وما أدت إليه تلك الصور من احتقار الأنا والشعور بدونيتها، ومن ثَم وضعها في إطار، لا يعترف لها إلا بالتخلف والهمجية وسفك الدماء، كما تناول أيضا دور وسائل الإعلام الموجهة في تنفيذ تلك السياسة الممنهجة، ومحاولاتها التأكيد على تلك الصور، ثم انتهى البحث بخاتمة، تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مدخل نظري: إدوارد سعيد ومذهبه الثقافي ورؤيته لمصطلح التمثيل

إن رفض المختلف ومحاولة إقصائه يتناقض تماما مع مفهوم الثقافة، فالثقافة تستلزم التطور وقبول التغيير ورفض التقوقع حول الذات، كما أنها تتنافى مع إنتاج قوالب نمطية جامدة، تأبى الانفتاح على المُختلف.

في ضوء ذلك عرض (إدوارد سعيد) لمذهبه في النقد الثقافي، الذي يقوم على الربط بين الأدب باعتباره ظاهرة إنسانية تقوم على الإبداع وبين حقائق التاريخ والواقع والفكر الإنساني، وهو مذهب تكاملي وديناميي معا، بمعنى أنه إلى جانب الجمع بين الظواهر المختلفة في المجتمع، يُصرّ على أن هذه الظواهر غير ثابتة وأنها تتغير وتتحول وتتلون، وهى تتأثر بمسار التاريخ وفكر الإنسان، مثلما تؤثر فيهما، ومن ثم فإن الأدب، مادام ظاهرة إنسانية، يرتبط بكل شيء عداه في حياة الإنسان المادية والنفسية والروحية. (١)

إن الثقافة إذاً تعترف بالتحول والتطور، فكيف لها أن تكون كذلك؟ وكيف يستمر الاعتراف بتلك الصور والقوالب النمطية الجامدة التي نُسجت في الأذهان؟ وبخاصة أنها رُسمت لدوافع استعمارية وسياسية واقتصادية، ورسّخها الفكر الغربي بمرور الزمن، بل وبُنيت عليها كثير من الدراسات التي جاءت بعدها، باعتبارها صورا حقيقية، تجسد حقيقة (الأنا العربية)، حتى ترسخت في الأذهان ورفض (الآخر الغربي) الاعتراف بزيفها.

من هنا أكّد (إدوارد سعيد) أن الفكر الاستعماري هو السبب الرئيس في تمثيل الآخر للأنا ووضعها في قوالب نمطية جامدة، وانطلق من خلال ذلك لمخاطبة الغرب بلغتهم، فـ" كشف الغطاء عما يتخفى بقناع الثقافة والدراسة العلمية من مواقف سياسية لا ترمي إلا إلى تحقيق مطامع أو مصالح مادية صرفة"(٢) .

فقد رأى (إدوارد سعيد) أن ما قدّمه الاستشراق من دراسات عن الشرق، لا يحمل تمثيلا صادقا عنه، فقد أُنتج بدافع السيطرة والهيمنة الغربية الاستعمارية على الشرق، وتزداد المشكلة بمحاولة تأكيد (الآخر الغربي) لتلك الصور الذهنية التي نسجتها السيطرة الاستعمارية ورفض قبول غيرها، وتوظيفه لمؤسساته وقنواته المتعددة للتأكيد على ذلك.

ويقصد (إدوارد) بالتمثيل " إعادة بناء الشرق بعيدا عن واقعه، ووفق مسلمات ذهنية غريبة عن ذلك الواقع، يُراد لها أن تحتل موقع الحقيقة الواقعية، مستبعدة الواقع التاريخي والنفسي للأمم الشرقية، ومستبدلة إياه بصورة خيالية، ابتكرتها مخيلة الإنسان الغربي"(٣)

وقد اهتم (إدوارد سعيد) اهتماما بالغا بقضية التصوير التمثيلي في العلوم الإنسانية، وبيّن ما يشوب الاعتماد على هذا التصوير من عيوب منهجية، فالصورة التي تمثل شيئا ما، تُقدم بالضرورة أحد جوانبه أو تقتصر على بعض جوانبه فقط، وهى ليست الشيء في ذاته، فهى مجرد تمثيل له، ورأى أن الباحث، إذا أراد أن يضع تعريفا جامعا مانعا عن الشيء، فعليه أن يحيط بجميع جوانبه، وهذا شبه مُحال في العلوم الإنسانية؛ لأن الإنسان متعدد الجوانب، يعيش في ظروف متغيرة، ويخضع لعوامل التاريخ، من هنا توصّل (إدوارد سعيد) في نقده للاستشراق إلى خروج التقاليد الاستشراقية واعتمادها على صور غير حقيقية، واعتبارها جوهر الشرق أو حقيقته.(٤)

ويثبت ذلك القول افتقاد الدراسات الاستشراقية للموضوعية في الكشف عن الثقافات الأخرى، حيث ذكر أن معرفة الثقافات الأخرى لابد لها أن تحقق شرطين، الأول :أن يشعر الدارس بالمسؤولية تجاه الثقافة أو الشعب (موضوع الدراسة)، وأن اتصاله بهم لا يقوم على القسر أو الإكراه،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذا الشرط لا يمكن تحققه، فالعالم الغربي عرف العالم العربي عن طريق الاستعمار، فالمعرفة بالإسلام والشعوب الإسلامية نشأت لا من الهيمنة والمواجهة فحسب، وإنما من الكراهية الثقافية أيضا، أما الشرط الثاني فهو تحقق الموضوعية في التفسير والدراسة، وبما أن الباحث لا يمكن أن يُهمل صلته بمجتمعه من عواطف وتقاليد وعادات وأعراف، فإن الدراسة العلمية تصبح مفتقدة لشروط المعرفة العلمية. (٥)

ويستند (إدوارد سعيد) في رؤيته لفساد تلك الصور وزيفها، بإلحاحه على التناقض بين أقوال وأفعال الغرب، فهم يدينون التعصب والعنصرية، لكن أفعالهم تؤيد ما يدينونه، لذا يرى أن "النزعات البشرية المنحطة التي يدينها الغربيون بألسنتهم، يؤيدونها في قلوبهم وأفعالهم حتى العصر الحالي بل وحتى هذه اللحظة، مثل النزعة العنصرية، والتعصب العرقي تحديدا، ومثل الأطماع المادية الاستعمارية القائمة على الجشع المحض، ومثل نشدان التسلط والسلطان لذاته"(٦)

وأضف إلى ذلك أن ما تمر به المجتمعات الغربية حتى الآن من تعصب وعنف وعنصرية، يؤكد زيف الصور التي رسمها الآخر عن نفسه وعن الأنا أيضا.

"لقد انطلق بعض الغربيين، الذين تبنوا الفكر الاستعماري من جملة من الثوابت، التي تجعل المختلف نقيضا لهم، وبذلك تعززت، وما تزال، المركزية الغربية، التي تعلن عن هوية ضيقة الملامح، تُفرغ الحوار مع المختلف من معناه، وتختزله إلى معنى الاستيلاء "(٧)

إن منطق تمثيل المختلف في حد ذاته يكشف عن إحدى آليات الهيمنة، والسيطرة عليه، بدعوى كونه ضعيفا يحتاج إلى من يُمثّله ويتحدث بلسانه .

هذا بالإضافة إلى أنه لا توجد صورة تجسد الأصل مهما حدث، إن الصورة تنطلق من زاوية محددة ولا تستطيع رؤية الجوانب المتعددة، بل تعتمد على البؤرة التي تسلط عليها الضوء.

والواقع أن العقل البشري لا يتجه إلى رسم صورة إلا انطلاقا من هدف ما يُحرّكه، واعتمادا على النسيج الثقافي المتغلغل بداخله، وانطلاقا من هذا الهدف يتم تسليط الضوء على جانب محدد للصورة وبناء استنتاجات، قد تكون وهمية، عن حقيقة ما يقوم بتصويره.

من هذا المنطلق يحاول (إدوارد سعيد) أن يلح على التفاعل الحيوي بين الأدب والسلطة، حيث يؤكد العلاقة بين الجمالية والسلطة؛ "لأن قراءة الأدب خارج سياقه السياسي وأصوله، في سبيل الإعجاب الجمالي، تعتبر قراءة خاطئة أو غير مكتملة"(٨)

ثم يؤكد أن " السياسة حولنا في كل مكان، وليس بوسع أحد أن يفر إلى عالم الفن أو حتى إلى عالم الفكر أو حتى إلى عالم الموضوعية المنزهة عن الغرض، فالمثقفون ينتمون إلى عصرهم وتسوقهم معا السياسة الجماهيرية القائمة على الصور الفكرية، التي يجسدها الإعلام أو صناعة أجهزة الإعلام"(٩)

وفي هذا الشأن يرى (إدوارد سعيد) أن إطلاق لفظة الشرق على العرب، يحمل ارتكانا إلى التوزيع الجغرافي فحسب، دون وجود اعتبارات إنسانية صادقة، فهذه النظرة " لا تقوم على أي أسس علمية؛ لأنها لا تعمل حسابا للتاريخ والتطور وغيرهما من العوامل التي تتحكم في حياة الإنسان، كما يثبت أن من ورائها – إلى جانب النظرة العنصرية والطمع الاستعماري وطلب السلطان– خوفا دفينا مما يطلق الغرب عليه صفة الشرقي أو يسميه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشرق وحسب، (...)، ويعتبر الارتكان إلى التقسيم الجغرافي وحده دون أي اعتبارات إنسانية صادقة جزءا من التزييف" (١٠)

تلك النظرة الضيقة التي ينطلق منها الفكر الغربي، سواء في ارتكانه على التوزيع الجغرافي أو في تصويره لإحدى جوانب الصورة أو حتى في لجوئه إلى تصوير المختلف عنه، لا يمكن النظر إليها إلا من باب التأكيد على الفكر الاستعماري.

وهو يؤكد أن " الصراعات الرهيبة التي يساق إليها الناس تحت أسماء موحدة مضللة، مثل (أمريكا)، أو (الغرب)، (الإسلام) وابتداع هويات جمعية لعدد كبير من الأفراد الذين هم مختلفون في الواقع، لا يمكن أن تبقى مؤثرة كما هى الآن ويجب أن تتم معارضتها" (١١)

وربما أسهم في ترسيخ تلك الصور أن الدراسات التي جاءت بعد الدراسات الاستشراقية، اعتمدت على الصور التي رسمتها تلك الدراسات كأساس غير مشكوك في صحته، مما أسهم في بقاء تلك الصور المزيفة بل وإنتاج صور أخرى مزيفة، نتجت بفعل الاعتماد على الصور التي جاءت بها الدراسات الاستشراقية.

ومن هذا المنطلق تتجلى خطورة تلك الصور الذهنية ، وهو ما ذهب إليه (إدوارد سعيد) أيضا من أن صورة الغرب عن الشرق يكمن بداخلها خيال خصب يدفعه دفعا إلى التحليق في أجواء غير واقعية، ثم يجد كل من يأتي بعده في صورة الشرق التي كونها الأدباء قبله، الزاد الذي يبحث عنه، فينتفع بها ويضفي عليها المزيد، فإذا قرأ غيره ما كتب رأى أن هذه الكتابة تقدم صورا صادقة وأمينة، فإذا تكاثرت هذه الكتابات أنشأت جوا أو مناخا

نفسيا أو فكريا، لا يملك الباحث العلمي أن ينجو من تأثيره، مما يجعل الغير يعتبرها الصورة الحقيقية الوحيدة للشرق.(١٢)

أضف إلى ذلك أن تلك الصور أثرت على (الأنا العربية) و(الآخر الغربي) معا، حيث بلور الآخر نظرته للأنا في ضوء تلك الصور، وبالتالي ارتبطت الأنا العربية في ذهنه بالتخلف والهمجية والرجعية والعنف أيضا، مقابل ترسيخ صورة لـ(الآخر الغربي)، يغلب عليها نبذ التعصب والعنصرية، مما يؤكد سيطرة الخطاب الثقافي الغربي على الأنا والآخر أيضا.

من هذا المنطلق أكد (إدواراد سعيد) أن الشرق لابد أن يعيد تقديم نفسه بنفسه؛ إذ إن تلك الصور التي رسمها الغرب عنه، ما هى إلا صور تخييلية من منظور الغرب نفسه، تحمل ثقافته هو ومنظوره ورؤيته، لكنها لا تقدم الشرق ذاته، بل إنها بغرض إحكام الهيمنة والمركزية الغربية على كل ما عداها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص عن أحداث رواية (أن تبقى) للكاتبة خولة حمدي:

بدايةً تنطلق رواية (أن تبقى) للكاتبة خولة حمدي، لعرض إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر من خلال شخصية "خليل نادر الشاوي " المحامي، الذي يعيش في باريس، وهو مزدوج الجنسية، حيث إنه من أصل عربي، فوالده "نادر الشاوي" جزائري الأصل، أما والدته "ديانا"فهى فرنسية، ورغم أنه عربي الأصل إلا أنه لا يعرف عن عروبته سوى اسمه الذي يحمله؛ فقد ولد وتربى وعاش ودرس وتزوج في باريس، حتى اسمه الذي يُعرف به هو "خليل دانيال الشاوي".

يتخلى "خليل الشاوي" عن هويته العربية حتى في الاسم، ويحاول طمسها؛ لأنه ترسّخ بداخله أن هويته العربية سببٌ في شعوره بالنقص والدونية، كما أنها السبب في محاولة (الآخر الغربي) نفيه وإقصائه أيضا، ليحاول بشتى الطرق الاندماج في المجتمع الغربي دون جدوى، حتى تأتيه رسائل الماضي، لتحمل ذكريات والده "نادر الشاوي" ومعاناته في المجتمع الغربي، التي بدأها حين قرر الهجرة غير الشرعية من الجزائر إلى باريس، حيث تربى هو أيضا على أن باريس هى الجنة الحقيقية، لذا تطلّع إلى هذه الجنة المزيفة تاركا وطنه، وبمجرد حرق أوراق ثبوتيته، التي تعد إعلانا قويا عن طمس الهوية العربية؛ رغبة في الاندماج مع الآخر، بمجرد حدوث ذلك تبدأ معاناته، لتتجلى صور العنف والتعصب والعنصرية والنظرة الطبقية، لتتلاشى تلك الصور، التي ترسخت في ذاكرته، وتفصح عن حقيقتها المزيفة.

من هنا تصبح تلك المذكرات سببا في إحداث التحول في مسار حياة "خليل الشاوي"، حيث يتحول من الكره لتلك الهوية العربية إلى التمسك بها،

ومع هذا التحول ينتج تحولا محوريا آخر في حياة الشخصية، حيث تتحول من الضعف والإحساس بالدونية إلى الإحساس بالقوة والتأكيد على أهمية أن يحتفظ الفرد بكيانه الخاص مع الانفتاح على الآخر دون طمس هويته، ورغم ظنه أن دخوله الانتخابات البرلمانية سوف يجعل لذاته قيمة واعتراف من الآخر بوجوده، تأكد أن اعتراف الآخر بوجوده، يستدعي اعترافه هو أولا بذاته، وكأنه لم يكن يبحث عن الفوز في الانتخابات البرلمانية، بقدر ما كان يبحث عن إثبات لوجوده في مجتمع، عمل على تهميشه وإقصائه.

وتعمد الرواية إلى توظيف تلك المذكرات، لعرض الصور النمطية غير الحقيقية، التي جاءت بها الدراسات الاستشراقية، والتي حصرت الأنا في الهمجية والرجعية والتأخر والدونية، وفي مقابل ذلك أثبتت للآخر التقدم والتطور واحترام حقوق الغير.

إن الرواية لا تتوقف عند عرض تلك الصور بل إنها تثبت زيفها، وتؤكد أنها ليست حقيقية، وأنها رُسمت بغرض السيطرة والهيمنة الغربية على الأنا.

من هنا حاول البحث الوقوف على أثر تلك الصور الذهنية على (الأنا العربية) و(الآخر الغربي) أيضا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول : أثر الصور الذهنية الاستشراقية على الأنا العربية

إن فكرة تمثيل المختلف تحمل الرغبة في وضعه في إطار أو قالب؛ لمحاولة السيطرة عليه.

وسبق أن أوضحنا أن تلك الصور الذهنية لا تمثل حقيقة الشيء بقدر ما تمثل ثقافة الممثِّل نفسه، وما يهدف إليه من وراء رسم تلك الصور.

وأضف إلى ذلك أن هذه الصور أثّرت بشكل كبيرعلى (الأنا العربية)، فجعلتها تشعر بدونيتها وضعفها ورجعتيها، ولم يكن ذلك إلا لترفع من قدر الآخر وتثبت له التفوق والتميز دون غيره.

انطلاقا من ذلك تصبح تلك الصور هى المسؤولة عن صورة الأنا، كما أنها مسؤولة أيضا عن علاقتها بالآخر، فهى تؤثر في الأنا، لتجعلها تحاول الاندماج مع الآخر، أو تتخذ موقفا عدائيا من الآخر لتتقوقع حول ذاتها؛ رغبة في الحفاظ على هويتها، التي تمنحها كيانها الخاص، دون محاولة الانفتاح على الآخر.

وانطلاقا من ذلك تتوزع صورة الأنا داخل الرواية في تلك المحاور:

١- الأنا العربية ومحاولة طمس الهوية العربية :

إن الحفاظ على الهوية يحمل حفاظا على الفرد ذاته من الضياع، فالفرد يشعر بقوته عندما يتمسك بهويته، كما أنه يشعر بالخطر، ومن ثم الضعف بمجرد ابتعاده عن هويته.

من هنا تنبع إشكالية الأنا والآخر، حيث البحث عن الهوية؛ رغبة في الإحساس بالوجود أولا ثم الإحساس بخصوصية الكيان الخاص بالفرد ،" إذ يتم البحث عما يؤكد الذات، ويثبت خصوصيتها التي يتميز بها عن الآخر، لهذا لا يدرك الفرد هويته إلا في لحظة مواجهة المختلف، فيرتد إلى مكوناته

الأصلية التي تجعله يحس بوجوده، وضرورة أن يحافظ عليها مهما كانت التحديات التي يواجهها، وكلما زادت حدتها زاد التمسك بمكونات هويته وخصوصياته"(١٣)

إن الهوية لا تتخلى عن الفرد، وهى التي تُشعره بقوته، فـ"هى ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته، ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين "(١٤)

وهذا لا يعني التقوقع والانغلاق واكتفاء الأنا بهويتها، وإنما يتطلب ضرورة الانفتاح على الآخر دون الانسلاخ عنها أو إعطاء الفرصة لاستلابها،" فالمثقف لا يمكن أن يرى في الهوية تقوقعا على الذات من أجل الحفاظ على معطياتها، ويرفض الانفتاح على الآخر؛ لأن ذلك يعني الجمود والضعف والانحطاط، مما يناقض مفهوم الثقافة، الذي يقوم على التطور والاعتراف بكل معرفة جديدة"(١٥)

وبما أن تلك الهوية هي المسؤولة عن منح الأنا القوة والإحساس بخصوصيتها، كان لزاما على الآخر، انطلاقا من فكره الاستعماري، أن يقوم بإضعاف تلك الهوية بداخله؛ حتى يشعر بضعفه، ومن ثم يستطيع السيطرة عليه.

إن الهيمنة الغربية حاولت إلغاء الأنا وطمس هويتها، مع الاعتراف بهويتها المركزية، فلقد اعتبر الغرب نفسه هو المركز، وشعوب العالم هى الأطراف، وحاولوا تفريغ إمكانات الحوار من معانيها وإمكانتها، جاعلين الأنا تتحرك في الأفق الذي رسمته لها، والذي أنتجته تصوراتها، والمناسب لمصالحها، فأصبح النموذج الأوربي هو المهيمن، في حين أن الدول غير الأوروبية، اضطرت إما لنسخ النموذج الأوروبي لأجل البقاء، وإما تحمّل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التجربة الاستعمارية التي أدخلت إلى تلك البلدان كثيرا من عناصر النظام الأوربي، من هنا اختزلت احتمالات الحوار والتعامل إلى إمكانية وحيدة هي التبعية، مما يعني سيطرة الفكر الاستعماري وغياب الحوار والتفاعل مع الأنا ومحاولة تحجيمها في صور جامدة لمصالح تخص الآخر وحده.(١٦)

ولكن (الآخر الغربي) لم يكن ليمتلك تلك السيطرة دون مساعدة (الأنا العربية)، فقد دعّمت موقفه وارتضت لذاتها أن تكون تابعا، وفي هذا الشأن يُحمّل (منذر الكيلاني) الأنا مسؤولية المشاركة في صناعة تلك الصورة، حيث ذكر أنه "يتوجب على الشرق أن يعترف أمام نفسه بأنه فاعل نشيط في بلورة صورته وهويته داخل الإنتاج الاستشراقي البارع، ليس الأوروبي بالمسؤول وحده عن قولبة الشرقي في قالب آخرية لا معنى لها إلا في حد ذاتها، بل كان لابد للأوروبي من أن يتواطأ معه الشرقي حتى يُنشئ هذا الضرب من اغتراب الهوية"(١٧)

نخلص من ذلك أن اتخاذ الأنا للثقافة الغربية كنموذج مثالي يُحتذى به، أدى إلى طمس الهوية العربية، والاكتفاء بالتبعية، ظنًّا منها أنها السبب الرئيس وراء تخلفها ورجعيتها.

فبدلا من محاولة فهم الهوية العربية والتفكير في كل ما هو غربي ومحاولة الانفتاح بالقدر الذي يتناسب مع هويتنا وثقافتنا وقيمنا المجتمعية، أسهمنا في ترسيخ ضعف الهوية العربية لدى الآخر، حتى زادت الفجوة بين الأنا والآخر واتسعت الهوة بينهما.

وفي هذا الشأن رأى (إدوارد سعيد) أن على أبناء ما يسمى ببلدان العالم الثالث، أن يعيدوا النظر فيما ورثوه من العهود الاستعمارية من صور للعالم ولأنفسهم، فُرضت عليهم فرضا . (١٨)

انطلاقا من ذلك تكشف رواية (أن تبقى) عن الصور المزيفة التي طبعتها النظرة الاستعمارية على (الأنا العربية) وجعلتها تتأثر بها وتطمس هويتها، لكنها اصطدمت بزيف تلك الصور، حتى أنها رأت أمامها ما قررت الهروب منه في مجتمعها الشرقي ماثلا أمامها في المجتمع الغربي؛ الذي ظنت أنه الملاذ الوحيد لما كانت تعانيه في مجتمعها .

إن الرواية تفصح عن صور من التشرد والضياع والعنصرية والتعصب، وكلما تستعرض الرواية تلك الصور، كلما تراجعت تلك الصورة المُشْرقة للجنة الأوروبية، التي رُسّخت في الأذهان وعاشت في النسيج الثقافي للأنا.

وتبدأ الرواية بإهداء يُدعّم القول بأن التخلي عن الهوية يعد سببا رئيسا لمعاناة الأنا العربية على أرض الآخر، حيث تقول :

"أن تكون عاريا من الهوية
حافيا من الانتماء
فذلك أقسى أشكال الفقر
إلى الفقراء الذين لمّا يدركوا مدى فقرهم" (أن تبقى، ٥)

إن الاستغناء عن الهوية نابعٌ من تلك النظرة المتدنية التي رسمها الآخر في ذهن الأنا؛ مما جعلها تحاول طمسها وعدم الاعتراف بها.

فالبداية الحقيقية تتحقق في الإهداء، وتكمن في اعتراف العربي بهويته أولا، ففي اعترافه احتراما لذاته وتقديرا لنفسه، ولن يتمكن من رسم صور حقيقية عن ذاته وهويته وهو يحاول التخلص منها؛ فعدم اعترافه بهويته يجعله فقيرا، ويمكّن الآخر من السيطرة عليه .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتعرض الرواية لبعض من هذه الصور، والتي ستقوم بالدور الرئيس في تغيير مسار الشخصية الرئيسة في الرواية، وفي التحول من طمس الهوية إلى الاعتراف بها .

أولى صور الزيف تتجلى في إحدى اللافتات الإعلانية الإلكترونية التي تحمل وجوها لمرشحي مجلس النواب، فهى " شاشات عبثت بها أيدي المارة بمختلف مشاربهم، فتشقق زجاج بعضها، وشوهت الصامدة منها بطلاء أسود يكاد يحجب مضمونها، أو بكتابات قبيحة من أصحاب الرؤى المضادة.. ووعد المشهد بعرس ديموقراطي مشحون بالتوتر" (أن تبقى،٩).

فالمشهد يكشف زيف صور الديموقراطية والحرية التي تمتلئ بها وسائل الإعلام إلى الآن عن واقع المجتمع الغربي، صورة لا تحمل إلا التشويه لكل من يختلف عنه، ترسخت بداخل (الآخر الغربي) وأثرت في سلوكياته تجاه المختلِف، إنها صورة تحمل العنف والتعصب ونبذ المختلف، مع إقصاء مبدأ الحوار واستبداله بسلوكيات توحي بالهمجية وعدم احترام الغير.

وتلك الصورة لم تكن لتؤثر على (الآخر الغربي) فحسب، فتأثيرها واضح على (الأنا العربية)، التي رغم كل ما تعانيه الصورة المُعلنة من فوضى وانعدام للحريات وعدم احترام للمختلف عنهم، إلا أن (الأنا العربية) تصف ذلك بعرس ديموقراطي، وكأن تعبير الآخر عن رفضه بالكتابات القبيحة وبالطلاء الأسود، قصد محوه وطمس وجوده، هى ردود صحيّة لمجتمع، ظل يتحدث عن الحريات ونبذ العنف والعنصرية وإعلان الديموقراطية، رغم أن أفعالهم تكشف زيف ما يدّعون.

وإحساس (الأنا العربية) برفض الآخر لها، يكشف عنه الشعار الانتخابي، الذي دُون على اللافتة "الوطن للجميع"، والذي يحيل إلى إحساسها العميق بأن الآخر يلفظها، فعدم إحساسها بأن الوطن للجميع هو إعلان قوي لرغبة الأنا في إيجاد ذاتها داخل مجتمع الآخر؛ لأنها تنتمي إليه ولادة وتربية وعملا وحياة.

ورغم إعلان الآخر لمبدأ المساواة دوما، إلا أن تلك العبارات ما هى إلا شعارات زائفة، ويؤكد الأمر تلك المعاملة التي تصدر لـ"خليل الشاوي" من أقارب زوجته وتعقيبهم على خوضه للانتخابات البرلمانية بكلمات تشجيع فاترة، فهم :

" لا يؤمنون بفرصه

لا أحد منهم يفعل

بعد ست سنوات من زواجه بابنتهم ، لا يزال بعضهم يعتبره دخيلا أو غير جدير بها" (أن تبقى، ١٦).

إن فكرة التقسيم إلى أنا وآخر، هي بداية المشكلة، فالفكرة تحمل اتجاها وميلا إلى العنصرية والتعصب العرقي؛ لأن الفصل بينهما ليس في العقلية أو في التقدم والتطور بقدر ما هو فصل بين بشر، لا يميزه سوى التقسيم الجغرافي لهم.

أما الصورة الثانية التي تكشف عن زيف (الآخر الغربي)، تتجلى في هروب (الأنا العربية) للجنة الأوربية، التي رسّختها الصور الاستعمارية في ذهنها، فتترك أرضها؛ لتعاين الجنة الأوروبية، وتبرر (الأنا العربية) لنفسها الحق في ترك أرضها والاتجاه إلى تلك الجنة المفقودة، لتقول الراوية " أن يكون بلدك "عميد" المستعمرات الفرنسية، فذلك يعني أنك تملك حقا مشروعا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في قصاصك من فرنسا، هو ثأر تقرّه لنفسك وتبرر به نزعتك الأنانية إلى هجران أرضك وأهلك إلى غير رجعة،(...)، وكأن نعيمك بجنة فرنسا سيسدد شيئا من دينها تجاه قومك أجمعين" (أن تبقى، ٤٧).

إن رغبة (الأنا العربية) في الخلاص من أرضها، لا من المستعمر، تكشف عن تمكن تلك الهيمنة الغربية من إحكام سيطرتها على الأنا، كما تعطي الآخر الفرصة لتمثيل الأنا.

فقد استطاع (الآخر الغربي) أن يصور للأنا الجنة المفقودة، تلك الصورة جعلتها تفكر في ترك أرضها ومحاولة طمس معالم هويتها وحرق أوراقها، وتبدأ محاولات طمس معالم الهوية فيما فعله "نادر الشاوي" والد المحامي "خليل الشاوي"، حيث يقول " لم أكن أمتلك جواز سفر، ولم أكن لأحتاجه في سفرتي هذه، يسموننا "الحراقة" لأننا نحرق أوراق ثبوتيتنا وجوازات سفرنا ، حتى لا يتم ترحيلنا وإعادتنا إلى نقطة البداية، إذا ما تم القبض علينا على الضفة الأخرى، ثم نواصل حرق كل القوانين والأعراف في سبيل لقمة العيش " (أن تبقى، ٢٨).

فأولى محاولات الاندماج مع (الآخر الغربي) تكمن في حرق الهوية وعدم الاعتراف بها والتي تكشف عن تمكن تلك الصور المزيفة للجنة الأوربية داخل الأنا.

تلك الجنة التي تتخيلها الأنا بمخيلتها والنابعة من تصديق الآخر، تتمثل في "نادر الشاوي"، حين يقول " هل جربت أن تتخيل الجنة؟ هناك جنة .. وجنة . جنة الله التي أعدها لعباده المؤمنين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وجنة البشر على الأرض. في خيالي وخيال شبان حي العاطلين، كانت أوروبا هي الجنة" (أن تبقى، ص٤٧).

ولكن تلك الصور الذهنية للجنة المزعومة تتهاوي وتسقط أمام أعين الأنا، عندما تقرر العيش في تلك الجنة على أرض الآخر، لتكتشف أنها جنة مزيفة غير حقيقية، وترى أيضا أن انبهارها بالغرب وصوره التي رسمها عن ذاته، لم يدم طويلا، حيث يتحول إلى استنكار لكل ما تراه على أرض الآخر.

إن زيف تلك الصور الذهنية يكشف عن نفسه في كل صورة يعاينها "نادر الشاوي" على أرض الآخر، حتى يقول "ذابت الصور المشرقة التي رسمتها في ذهني للحضارة الغربية تحت أشعة الشمس، حالما التقطت عيناي أكوام الأوساخ والأتربة المكدسة على حاشية الطريق، وتوقفت نظراتي على الجدران التي تساقط طلاؤها الأصلي، وتشوهت مساحاتها برسوم ثائرة متمردة صاخبة الألوان، والتقط أنفي الروائح العطنة. خلف واجهة المدينة السياحية الناصعة، اكتشفت بؤسا مدقعا لم أكن أتوقع وجوده على الضفة الأخرى من المتوسط" (أن تبقى، ص٤٨).

تبدو الصور التي تحمل زيفا، تتلاشى مع كل مشهد يطالع "نادر الشاوي" بعد هجرته غير الشرعية إلى الجنة، كما كان يظنها، فتلك المدينة السياحية تحمل خلفها وجها آخر للحقيقة، التي يخبئها (الآخر الغربي)، وهو وجه الفقر والبؤس الذي تعانيه الطبقة الكادحة، وهى الوجوه التي كانت تطالع "نادر الشاوي" في بلده العربي، والتي فرّ من بلده حتى لا يطالعها، فها هى تبدو له في بلد، ظن حضارتها المشرقة المعلنة، تقتل الفقر والجوع وتتعامل بمنطق الوطن للجميع.

إن التعصب العرقي والعنصرية تبدو واضحة في المشاهد التي تطالعنا بها الرواية، فها هى صورة السكان الأصليين الذين يواجهون الفقر، بل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتضعهم الدولة في المكانة نفسها مع الجنسيات الأخرى، حيث يقول "نادر الشاوي" في مذكراته " تطلعت إلى المزيج العرقي الغريب الذي تمثل في الوجوه الملونة من الحنطة إلى الأبنوس. أفارقة ومغاربة وأوربيون" (أن تبقى، ص٤٩).

"إن القيم الأوروبية التي تتفوق على ما تبقى من القيم هى التي تسمح باحتكار مصائر الشعوب الأخرى؛ لأنها قيم تمثل الفضائل جميعا، غير أن هذه القيم، التي تؤكد الشرف، والإنصاف، تفصل بين القول والفعل؛ لأنها مطمئنة إلى مبدأ التفاوت الذي يضع شعبا فوق آخر، وعازفة عن مبدأ المساواة الذي يعترف بحقوق متساوية لثقافات مختلفة"(١٩)

فالغرب يعترف بمبدأ التفاوت، مما يجعل الفقير منهم يعيش في سجون مع غيره من المهاجرين، حيث يقول "نادر الشاوي" في مذكراته " تبين لى أن تلك الأحياء الشعبية –"الفيتو"– سجون مغلقة على أهلها. عفوا ، سجون؟ بل هى حصون منيعة تحمي أهلها ، مغلقة في وجه الغرباء والدخلاء. أغلب سكانها من المهاجرين أو الفرنسيين من الطبقة الكادحة " (أن تبقى ، ص٤٩).

ورغم ذلك فإن الجنة الأوروبية لا تتهاوى بسهولة داخل (الأنا العربية)، فعقلها يرفض ما تراه بأعينها، فهو يراها سجونا، تجمع المهاجرين والطبقة الكادحة، لكن عقله يستدرك الأمر ليصفها بعد ذلك بحصون منيعة على أهلها؛ لحمايتهم من الغرباء، مما يعني عدم الرغبة في تصديق حقيقة الصور الذهنية التي عاشت وترسخت في عقل (الأنا العربية) وأصبحت جزءا منها.

وأمام تلك الحقائق الغائبة التي يخفيها الآخر ويحاول طمسها بمساندة وسائل الإعلام، لا تجد (الأنا العربية) إلا الاستفهام عما ترسخ في ذهنها عن الجنة المزعومة، لتتساءل "فأين الجنة؟"(أن تبقى ، ص٥١).

إن الصور تكشف غياب الديموقراطية والعدالة والمساواة التي ينادي بها الغرب في أوطانهم، فالوطن ليس للجميع كما ينادون في شعاراتهم ، ولكنه لطبقة الخاصة، أما الطبقة الكادحة فهى تعيش في أماكن تشبه السجون، وتمارس مهنا غير شرعية، ولكنها المتاحة لهم للعيش، وتنتشر بينهم المخدرات بكافة أشكالها، ولا تتمتع بما تتمتع به طبقة الخاصة .

ورغم انكشاف حقيقة الصور الوهمية التي رسمها الغرب عن حاله، والتي كما تكشف زيف الآخر، تكشف أيضا زيف الصور التي رسمها عن الشرق ، إلا أن "نادر الشاوي"لا يستطيع أن يتخلى عن الصور رغم الكشف عن زيفها، حيث يقول " لكن إغراء الجنة الأوروبية الوهمية كان ما يزال يدغدغني " (أن تبقى، ص١٠٥).

مما يكشف عن أن الاعتراف بزيف تلك الصور، ومن ثم هدمها، ومحاولة بناء صور حقيقية ليس بالأمر الهيّن، إن (الأنا العربية) تكتفي أمام تلك الصور بالرضوخ والاستسلام ، حتى أن (نادر الشاوي) يبحث عن مهنة يمتهنها، كان يترفع عنها في بلده، حيث يقول" غريب أمر تلك الحرف التي كنت أترفع عن مزاولتها في بلدي وبين أهلي بأنفة، لأنها لا تليق بشاب جامعي مثلي، لكنني أتلهف عليها وأتوق إلى إتقانها في بلاد الاغتراب كأنها سترفعني إلى قدر أعلى !" (أن تبقى، ص١٢٥).

إن الرضا بمثل هذه المهن يكشف عن النظرة الدونية التي ارتضتها (الأنا العربية) لذاتها، والتي لم تحاول تغييرها، مما زاد من هيمنة (الآخر

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الغربي)، بل وازداد الأمر بإقصائه ونفيه وتهميشه أيضا؛ لأنه سمح لنفسه أن يفقد ذاته وأن يرضى ويرضخ للآخر .

لتصبح شخصية "نادر الشاوي" نموذجا للأنا العربية التي ارتضت بالاستسلام، وحاولت العيش في مجتمع الآخر بشروطه، حتى رحلت عن الدنيا.

وعندما تتطرق الرواية للشخصية الرئيسة، وهى شخصية المحامي "خليل نادر الشاوي" نجد أن الهوية العربية تلخصت في اسمه، الذي يحاول تهميشه، ليقول "خليل هو الاسم الذي منحني إياه والدي، وسجله في الأوراق الرسمية، ودانيال هو الاسم الذي أعيش به ويعرفني به كل من حولي .. لذلك أفضل دانيال، إذا تكرمت" (أن تبقى، ص٢١١).

مما يعلن عن تمكن تلك الصور وسطوتها، والتي " تؤثر لا في الدراسات الأكاديمية فحسب، بل في رؤية أبناء البلدان التي تحررت من الاستعمار لذواتهم، ويؤكد أن هذه الصور لا تمثل الحقيقة الباطنة للثقافة وإن كانت ترسم الهيكل القائم الذي ساعدت على إقامته ظروف الإمبريالية والعنصرية"[٢٠]

وتبدو الهوية الأوربية باعتبارها هوية تتفوق على جميع الشعوب والثقافات غير الأوربية، التي تعلن التفوق الأوروبي على التخلف الشرقي، وأن للأوروبي اليد العليا في علاقته مع الشرق[٢١]، وهذا ما يجعل "خليل شاوي" يقول بكل افتخار معلنا هويته غير العربية "أنا فرنسي، آنستي ! ولادة ونشأة وولاء! "(أن تبقى، ص١٥) .

ويرى(إدوارد سعيد) بأننا في العالم العربي نقوم بالنسخ المباشر، حيث لا توجد محاولة لتحويل تلك الأفكار إلى شيء ذي صلة بالعالم العربي، نحن ما نزال تحت تأثير الغرب. (٢٢)

وبقيت الهوية تتلخص في أحرف منفصلة، لا تعينه على قراءة رسائل الماضي التي تركها له والده، والتي "كانت تحمل كتابة عربية، ميّز الحروف اللينة للغة أبيه وأجداده، يعرف تلك الحروف ويقرأها متفرقة. يسترجع من دون وعي ذكريات طفولته" (أن تبقى، ص٢٠).

أما التي تحمل حروفا فرنسية فقد كانت لا تمثل عبئا عليه، بل واستطاع قراءتها بكل سهولة، وبذلك يحاول إعلان انتمائه للهوية الغربية وانفصاله عن هويته العربية، التي تعد اللغة إحدى دعائمها.

ولكن تلك الرسائل تعيد "خليل الشاوي" إلى هويته العربية لتؤكد له أنها هويته، حيث تقول له أمه "هذا تاريخك ، ميراثك.. احمله على عاتقك وسر به في الطريق الذي تختاره. لكن لا تهمله ولا تتخل عنه، فأنت لا شيء من دون ماضيك وجذورك" (أن تبقى، ص٢٠).

وفي ترديد هذا المقطع في الرواية أكثر من مرة، إعلان صريح بأن أزمته الحقيقية تكمن في محاولاته المستمرة لطمس معالم هويته .

ورغم أن تلك الرسائل القديمة لم تكن إلا مجرد رسائل في نظر أمه، فقد حوّلت مسار "خليل الشاوي" ووجهت نظره إلى رؤية جديدة لذاته وهويته العربية، لذا فهى تقول " صار رجلا الآن ، يستعد لمعركة البرلمان. رجل من طينته لن تكسره مجرد رسائل.. ليست إلا فسحة عبر التاريخ، سيعود بعدها ليستكمل مهامه" (أن تبقى، ص٤٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ورغم الضجر الذي كان يشعر به، كلما اطلع على مذكرات والـــده، إلا أن هذه المذكرات كانت تحمل تحولا في المسار وارتدادا إلى هويته العربية ، حيث يتحول من الضيق والضجر إلى أن تصبح جزءا من يومه، ينتظرهـــا ليرسم مسار يومه " ابتسم للرسالة الصوتية التي كانت في انتظاره.أصبحت تلك الرسائل ترسم مسار يومه، تتحكم في مزاجه، تستنفذ طاقتـــه أو تبثـــه مخزونا منها، حسب محتواها" (أن تبقى، ص١٣٥).

ومحاولة الأم إخفاء تلك الرسائل وذلك الماضي عن ابنها لم يكـــن إلا ما ذكره (إدوارد سعيد) في أن الآخر بث في المجتمع الغربي صورة للعرب، تتلخص في الهمجية والإرهاب، فالإرهاب أصبح بمثابة ستار تمت صناعته، وأن كل تاريخ الإرهاب يجد جذوره في السياسات التي انتهجتها الإمبريالية، فقد استخدم الفرنسيون كلمة"إرهاب" لوصف كل شيء قام بـــه الجزائريـــون لمقاومة الاحتلال الفرنسي، فالإرهاب هو أي شيء يقف في وجه ما نرغـــب "نحن" في فعله.(٢٣)

لذلك فهى تقول " لقد حرمتك من ذاكرتك وتاريخـــك .. ظننـــت أننـــي أحسنت صنعا . لكنني أتبين اليوم مقدار جهلي. لقد تأخرت كثيرا في تسليمك مفاتيح الماضي " (أن تبقى، ص٢٨٩).

وكما يرى (إدوارد سعيد) أن من أسوأ هبات الإمبريالية أنها حمّلـــت الناس على الاعتقاد بأنهم بيض أو سود أو غربيون أو شرقيون، لكن كمـــا أن البشر يصنعون تاريخهم الخاص، فإنهم يصـــنعون ثقـــافتهم وهويـــاتهم العرقية، لذا فالأهم ألا نكرر دوما أن بلادنا أو ثقافتنا هى الأولى وألا نحاول أن نحكم الآخرين أو أن نصنفهم أو نضعهم في ترتيبات. (٢٤)

يكتشف "خليل الشاوي" أن مشكلته تكمن في العلاقة بين الأنا والآخر، علاقة والده العربي وأمه الفرنسية، ليقول " لقد حاول كل منهما أن يشدني إلى حضارته وثقافته .أبي خطفني وسافر بي إلى الجزائر حين علم بقرب أجله..أراد لي أن أعيش في كنف أهله وأتشرب هويته. خاف أن تمحي بصمته من وجودي بعد رحيله. وأمي، خطفتني بدورها حتى تسنت لها الفرصة! وعدت بأن تحفظ في تكويني ثنائية الهوية، لكنها أخلفت وتنكرت لعهودها . قالت إنها خافت عليّ من هوية كانت ومازالت محل اتهام ! مسحت الماضي من ذاكرتها ، ونكّرت لي جذوري ، فنشأت كما شاءت. لا أفهم ، إن كان كل منهما لا يقبل ثقافة الآخر ويحسبها خطرا علي، فلماذا تزوجا؟ ألم يفكرا في المسافة التي تفصل بين هويتهما إلا حين أصبح الأمر يتعلق بي؟ أصبح كل منهما تهديدا جديرا بالابتعاد والطمس والإلغاء" (أن تبقى، ص٣٧٢).

فما زالت المشكلة تكمن في تشرب كل منهما الأفكار والآراء التي جاء بها المستشرقون والصور الذهنية التي تمكنت منهم، فحتى إذا حاول كل منهما الاندماج، تكون سيطرة تلك الصور عليهم أكبر بكثير من رغبتهم في التفاعل .

٢- الأنا العربية والإحساس بالضعف والدونية:

أقول في البداية أن الإحساس بالضعف والدونية يعد نتيجة طبيعية لطمس الأنا العربية لهويتها، حيث إن طمس الهوية يتبعه الإحساس بالضعف والدونية.

إن اتجاه (الآخر الغربي) للهيمنة على (الأنا العربية)، كان يستدعي إثبات أن الفوقية والهيمنة له لا لغيره، وأن على الشعوب المحكومة أن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تعترف أنها بحاجة إلى آخر يمثلها، لذا فقد حاولوا فرض السيطرة من خلال تلك الصور الذهنية، مما يتبعه من إحساس (الأنا العربية) بالضعف، ليأتي "خليل الشاوي" المحامي المشهور في صورة ترسم هذا الضعف الذي تمكن منه، وتتجلى صورته في الرواية، بأنه" كان يقبع خلف المكتب ، يتابع باهتمام وتركيز شديدين المشاهد المسجلة لبرنامج حواري حديث البث. يرقب بتوتر حبات العرق التي تلمع على جبين الضيف وتسيل على جانب وجهه" (أن تبقى، ص١٠) .

إن حالة الضعف والإحساس بالدونية تجعله يقرر خوض المعركة الانتخابية؛ أملا في اعتراف الآخر بوجوده، ولكن شعوره بأن الآخر يلفظه، يجعله خائفا من المواجهة، فيحاول التغلب على هذا الأمر وإن كان لا يستطيع فعل ذلك، رغم زواجه من فرنسية ورغم أن أمه فرنسية الأصل، إلا أن اسمه العربي يقف حائلا بينه وبين (الآخر الغربي)، ويجعل الآخر ينظر إليه نظرة دونية مهما أثبت جدارته في مجاله.

إن بداية إحساسه بالضعف هي التي جعلته يفكر في خوض المعركة الانتخابية وإن كان خوضه لها سببا في إحساسه بمعاناته بشكل أكبر، فـ "منذ اتخذ قراره بخوض معركة البرلمان، ضاق صدره، كأنما انطبقت جدران حياته بعضها على بعض، فأصبح يصاب بضيق تنفس مفاجئ كلما استرسل في التفكير في حربه المرتقبة.إما انتصار وإما اندحار. كان يبني آمالا عريضة على تلك القضية . هى مسألة حياة أو موت. ثورة على حياته كلها وما كانت عليه حتى تلك اللحظة" (أن تبقى، ص١٠).

إن (الآخر الغربي) ليشعر بهيمنته، كان عليه أن يقلل وينتقص من قدر الهوية العربية، مما يجعل الأنا تشعر بأن مشكلتها الحقيقية تنبع من

هويتها العربية فـ "أصله العربي هو مربط الفرس. يمكنه أن يكون ميزة تستقطب الناخبين أبناء الهجرة المغاربية، وإن شاء الإعلام جعل منه علة إقصاء وتهمة وطنية هشّة" (أن تبقى، ص١٩).

وربما تلك الصورة التي صورها (الآخر الغربي) وطبعها في الأذهان، كانت المسؤولة عن عدم إحساس (الأنا العربية) بالمشكلة الحقيقية، فالتخلي عن الهوية كان السبب الرئيس في الشعور بالضعف وليس التمسك بها هو الضعف، وتلك الصورة المعكوسة كانت المسؤولة عما وصلت إليه الأنا، لذا فبمجرد إعلانه لهويته، يتحول من الضعف إلى الإحساس بالقوة والهيمنة مهما كان رد الفعل، فمواجهة (الآخر الغربي) بالهوية العربية، تعيد إليه الإحساس بالقوة التي سُلبت منه.

إن إحساسه بالضعف ينبع من معاملة الآخر له، فهو يشعر بذلك إثر معاملة أقارب زوجته له ، فحصوله على الجنسية الفرنسية لم يتسبب في حل الأزمة الداخلية التي تنتابه، بل إنه زاد من إحساسه بالنقص والدونية مقابل تفوق الفرنسي وهيمنته.

مما يضطره إلى التفكير فيما يجعله يتخلص من نظرتهم له، ويشعره بفوقيته لتقول الراوية " أن يمضي ساعات في تبادل أحاديث سمجة مع أوغاد لا يحترمونه ويحقرون من شأنه؟ سيختلف كل ذلك، حين يصبح عضوا في البرلمان . سيقصدونه حينها ليقضي حاجاتهم ويتوسط لهم! ستختلف اللهجة ويخفت الاستهزاء .. سيرسمون الابتسامات المتزلّفة، ويرسلون الهدايا والدعوات للولائم . سيتكلمون بحماس ، ويحنون الرؤوس احتراما . عليه أن يضمن المقعد . أن يفعل أي شيء من أجل ذلك" (أن تبقى، ص١٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالمقعد الانتخابي هو الحيز الذي يريد أن يحققه، بل إنه الحل الوهمي الناتج عن إحساسه بالضعف؛ ظنّا منه أنه سيضمن له بقاءه في مجتمع الآخر، كما سيضمن أيضا تقدير واحترام الآخر له .

وأضيف هنا أن الكشف عن حقيقة الصور المتغلغلة في الأذهان ليس بالأمر الهيّن، وخصوصا إذا كانت (الأنا العربية) تعيش على أرض الآخر ولا تعرف شيئا عن هويتها العربية.

ونخلص من ذلك أن الأنا لم تستطع أن تواجه مشكلتها الحقيقية؛ لأنها ما زالت تعيش في عالم الآخر وتبحث عن مكانها على أرضه فحسب، وكلما كان تفكير الأنا ينحصر في ذلك، كلما ابتعدت عن الحقيقة، واستغرق الأمر وقتا أطول في الوصول إليها.

إن الشيء لا يُعرف إلا بضده، و"خليل الشاوي" لم يكن يعرف غير المجتمع الغربي، فهو في احتياج إلى ما يساعده على اكتشاف الحقيقة، لذا فبداية اطلاعه على الحقيقة تتلخص في رؤية (الأنا العربية) المختلفة عنه، والتي تبحث عن حقها وتتمسك بهويتها العربية، وترفض الاندماج الكلي مع الآخر .

٣- الصور الذهنية وأثرها على الأنا العربية المعتزة بهويتها :

إن إحساس (الأنا العربية) بالضعف يقابله إحساس آخر للأنا بالقوة والثبات والبحث عن حقوقها المسلوبة.

تأتي شخصية "مريم " تلك الفتاة العربية التي تعيش مع أهلها في باريس، حيث تقرر الدولة طردهم من بيتهم، رغم أنهم عاشوا فيه ثلاثين عاما، لنعود إلى ذلك التقسيم الجغرافي والذي يفصلون فيه بين العربي والغربي، حتى ولو كانوا يعيشون على أرض واحدة، حيث تروي مشكلتها

لـــ"خليل الشاوي" وتطلب منه المساعدة ، لتقول" الآن يريدون منا أن نرحل! بحجة أن المنطقة خاصة بالـــ"بيض" وعلى العرب إخلاء بيـــوتهم والانتقـــال إلى الأحياء الخاصة بهم. كانت خارطة التوزيع الديموغرافي قد تغيرت كثيرا في العشرين سنة الأخيرة، عما كانت عليه من قبـــل. بـــدأ الأمـــر بحركـــة انسحاب طوعي للعائلات الفرنسية من أصول أوروبية، مـــن الأحيـــاء ذات الأغلبية العربية والإفريقية" (أن تبقى، ١٢)

إن (الآخر الغربي) يحاول دوما أن يجد حدودا فاصلة بينه وبين (الأنا العربية)، بل إن الدولة تدعم تلك الحدود وتسعى إلى تطبيقهـــا، لـــذا فـــــ" سياسة الدولة لم تفعل شيئا طيلة عقدين للحد من الظاهرة، بل لعلها توطأت ويسرت المهمة لكل من يبغي شدّ الرحال والالتحاق بفئة أو أخرى، معـــززة الشقاق بين فئات المجتمع. بعد ذلك، قنن الدستور الفرنسي حركة الهجـــرة الداخلية، وأصبح لزاما على كل من يتقدم جيرانه بشكوى بســـبب اختلافـــه العرقي أن ينتقل من مسكنه، من دون حاجة إلى تبرير"(أن تبقى، ١٢).

إن المشكلة تكمن في تدعيم المجتمع الغربي بكافة مؤسساته للفصـــل بين الأنا والآخر، حتى وإن عاشوا في مجتمع واحد.

وهنا يتجلى الصراع بين نموذجين للأنا، إحـــداهما تـــرى الانـــدماج وتحاول أن تثبت وجودها بطمس هويتها، أما الأنـــا الثانيـــة فهـــى تحـــاول الاحتفاظ بهويتها وترفض الانصياع للآخر، بل وتحاول الحصول على حقها.

ويبرز الصراع في الحوار الذي دار بينهما "

– الدولة يمكنها أن تيسر لكم الانتقال إلى مسكن جديـــد فـــي وقـــت قصير..

قاطعت اقتراحه الوقح في شراسة :

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– لكننا لا نريد الانتقال !

تراجع لا إراديا متّقيا عضبتها، لكنها سرعان ما استعادت هدوءها واستطردت : – والدي رجل مسن فقد بصره منذ سنوات، وقد أَلِف المكان، لديه علاماته الخاصة التي يهتدي بها دون مساعدة من أحد،(...)، نريد فقط أن نبقى في منزلنا، الذي احتضن حياتنا كلها، بين جدرانه كل ذكرياتنا وأحلامنا، ولا نريد له بديلا"(أن تبقى، ١٣).

إن (الأنا العربية) كما تواجه (الآخر الغربي) الذي يرغب في انتزاع حقوقها، تواجه أيضا (الأنا العربية) الثانية، التي تسعى للاندماج مع الآخر، وذلك بطمس هويتها العربية.

إن التفاوت بين الشخصيتين، يجعل شخصية (مريم) تتمسك بوجودها وتدافع عن حقها، في حين يتجلى "خليل الشاوي" قائلا " أنا فرنسي، آنستي! ولادة ونشأة وولاءً!" (أن تبقى، ١٥).

إن افتقار" خليل الشاوي" إلى الاعتزاز بهويته العربية، ومحاولته البحث عما يُشعره بمكانته، يتناقض تماما مع ما تعلنه "مريم" من الاعتزاز بهويتها والتمسك بها، التي تمنحها القوة في البحث عن حقها المسلوب، حتى وإن كانت تعيش على أرض الآخر.

وهذا يعود بنا إلى القول بأن الأنا ربما هى المسؤول الرئيس عن سيطرة الآخر عليها، حيث إن الصور الذهنية كما أثرت على "خليل الشاوي" وأفقدته القدرة على الاعتراف بهويته العربية، لم تستطع فعل ذلك مع "مريم"، التي تمسكت بهويتها ولم تشعر أنها السبب فيما تمر به، وبالتالي لم تحاول طمسها، فهى تتمسك بتقاليدها العربية في مجتمع غربي، يحاول

الانتقاص من شأنها دوما، ورغم ذلك فهى لا تبالي بما يقوم به (الآخر الغربي) وتتمسك بقضيتها.

وعندما يسيطر الآخر على الأنا، ترى كل ما حولها بعينيه، بل وتفكر بعقله أيضا، ويتجلى ذلك في وصف " الشاوي" لمظهر " مريم"، حيث " يركز بصره على غطاء الرأس الذي لا تتسلل منه شعرة واحدة، وفستانها الطويل الذي ينسدل حتى الأرض تحت معطف صوفي ثقيل. ليست تدرأ عنها البرد وحسب، بل تعلن انتماء صارخا" (أن تبقى، ١١).

فـ"مريم" تحاول الحفاظ على هويتها العربية المتمثلة في ملبسها وهيئتها، في حين يصفها "خليل الشاوي" بوصف يعلن انتماءها إلى ذلك الأصل العربي الذي يحاول التخلص منه، لذا فهو يراها على خطأ في رفضها للاندماج والاستسلام لـ(الآخر الغربي)، حينما حاولت التصدي له بالبحث عن حقها في العيش في منزل ظلت فيه لمدة ثلاثين عاما، وحتى إذا اضطرها تمسكها بزيها وغطاء رأسها، إلى عدم الحصول على فرصة عمل على أرض الآخر، رغم أن "خليل الشاوي" يرى الحل سهلا" ماذا لو تركت عنها غطاء رأسها ساعات العمل، هل ستهلك بذلك؟" (أن تبقى، ٨٠)

إنه لا يعرف قيمة الهوية، لذا فكان من السهل عليه طمسها، ويرى أن تمسكها بقيمها في مجتمع الآخر، ورفضها الانسياق لشروطه، ليس صحيحا، ليرد على أخيها قائلا " وهذا مبرر لتترك ولدا مثلك يضيع مستقبله ويترك دراسته؟" (أن تبقى، ص٨٠).

وتلك النظرة التي ركز فيها على انتمائها الصارخ لهويتها العربية، حدثت في الوقت نفسه الذي ركز فيه على اندماجه مع (الآخر الغربي) ومحاولة إعلان كونه فرنسيا لا عربيا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والصورة التي يرى فيها "مريم" هشة ضعيفة رغم محاولتها إعلان قوة مستعارة، هي الصورة ذاتها التي يرى عليها نفسه أمام الآخر، فكلاهما يتشابهان في الضعف، ولم تكن تلك الصورة التي انطبعت في داخل الأنا، إلا صورة رسمها الآخر عنه .

وتتعرض الرواية لشخصية "الدكتور عمر" الذي كان يعمل في إحدى الشركات المتخصصة في الأبحاث الكيميائية، واتُّهم في التفجير الإرهابي الذي حدث في الشركة لا لشيء إلا لأنه عربي، ورغم ذلك حُكم عليه بالسجن عشرين عاما، لتتمكن تلك الصور الذهنية عن الأنا من الآخر، الذي يرفض الاعتراف ببراءة الدكتور عمر، بل ويؤكد ذلك بالاحتفال بسجنه ، لتقول الرواية " في ذلك اليوم، خرج الفرنسيون إلى الشوارع في احتفال مشهود بانتصار العدالة. رفعوا اللافتات المناهضة للإرهاب وغنّوا بصوت واحد من أجل وحدته وهويتهم الوطنية التي تقصي كل الدخلاء. رُفع قادة الحزب اليمينيّ المتطرف على الأعناق وتلقوا التهاني من أنصارهم وحلفائهم السياسيين" (أن تبقى، ٢٦٧).

ويؤكد بقاء وثبات تلك الصور عن الأنا، أن إثبات براءته بعد خمس سنوات، لم تُمكّنه من العيش بحرية ورغم حصوله على التعويض المادي ورد الاعتبار المعنوي، إلا أن المضايقات استمرت وحالت بينه وبين الحصول على تصريحات وتجهيزات لمختبره الخاص، مما اضطره إلى الهجرة خارج فرنسا.

هذا يعني أن (الآخر الغربي) يرفض استخدام عقله ويصر على القوالب الثابتة الجامدة التي ورثها عن (الأنا العربية) ويرفض أن يغيرها، كما يرفض فكرة التعايش مع الأنا أيضا.

ورغم ذلك تعلن الأحداث عن إصرار "مريم " و "الدكتور عمر" على التمسك بهوياتهما، مهما كلفهما ذلك من عناء .

فالضعف والقوة تنتج من تعامل كل شخصية مع تلك الصور التي نسجها الآخر عن نفسه وعن الأنا أيضا، فكلما تمكنت تلك الصور من الأنا، حاولت التخلص من هويتها العربية، ومن ثم تبقى بلا هوية فلا هى تعترف بهويتها العربية ولا هى تستطيع الاندماج مع الآخر، الذي يلفظها، ولكن عندما لا تتمكن تلك الصور منها، تستمر في إحساسها بالقوة.

وأضيف أن الأمر ليس في طمس الهوية العربية فحسب، بل في الانفتاح دون المساس بالهوية، فالعالم أصبح الآن قرية صغيرة، فلا يمكن بعد هذا التقدم والتطور أن يحيا الإنسان منعزلا عن غيره، فلابد من الانفتاح على الآخر دون فقد الهوية أو طمسها.

فـ " حين نثق بأنفسنا، ونمتلك الوعي بذواتنا، والاعتزاز بحضارتنا، نستطيع أن نشرّع أبواب الاختيار على أسس معرفية وجمالية بمعزل عن كل ما يغلق الفكر ويحاصر الوعي، مما يسهم في امتلاك (أنا) مبدعة، تواجه أية محاولة للمسخ، أو القضاء على الخصوصية"(٢٥)

فـ"نادر الشاوي" رأى نفسه دون الهوية كورقة الشجر " أنا ورقة الشجر في مهب الريح" (أن تبقى، ص٢٥) . والسبب في ذلك (لا أحمل أيّ أوراق ثبوتية) (أن تبقى، ص٥٥).

مما يعني أن طمس معالم الهوية لم تجعله يشعر بالجنة التي تخيلها، ولم يؤثر طمس الهوية عليه فحسب بل على ابنه أيضا، لذا فهو يقول " أيّ فرص ؟ أيّ فرص في أن أنشأ ممزقا من الداخل، بين هوية أرفضها ولا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فكاك لي منها.. وأخرى أنتمي إليها بكل كياني وتلفظني ؟(أن تبقى ، ص٢٥٢).

ورغم احتفاظه بمنصبه ومنزله وعائلته إلا أنه يرى المحظوظ الحقيقي هو الذي استطاع أن يحتفظ بهويته ولم يطمسها، ليقول عن مريم وعائلتها " إنهم متصالحون مع ذواتهم وهوياتهم ، لعلهم قد توقفوا عن لومها منذ زمن بعيد، ورضوا بقدرهم. أما أنت ، فلا تكف عن الشكوى من لعنة اسم تحمله وتتنصل منه .. مع أن مركزك ووظيفتك ومنزلك وعائلتك ، كلهم محفوظون لك!" (أن تبقى، ص٢٨٧).

لذا فهو يقرر مصيره في نهاية الرواية بالاحتفاظ بهويته، مهما كلفه الأمر، ومهما واجه من صعاب " أنت تمضي باتجاه منعطف حاد، والرؤية غائمة لا تكشف ما وراءه . وعيك بهويتك يتغير ويواصل التحول ، (...)، تعبر صدره موجة قلق، ثم يتبدد الزبد. أوليست تلك سنة الحياة؟ لا شيء باق على حاله. فليدع القلق لأوانه" (أن تبقى، ص٣٨٣).

تنتهي الرواية بغير ما بدأت به، فقد بدأت بالتنكر والإعراض عن الهوية العربية ومحاولة طمسها، مما كان سببا في شعوره بالضياع، لكنه عندما يعترف بهويته العربية لنفسه أولا ثم للآخر، فهو يشعر بالقوة، التي تجعله يواجه كل ما حوله مهما حدث.

" فعلينا أن نمارس هويتنا واختلافنا بشكل نعيد فيه ترتيب العلاقة مع ذواتنا ومع الآخر، أي نغير موقفنا منهما معا" (٢٦)

فنظرته المحدودة إلى هويته تتغير بمجرد اعترافه بها، وبخاصة عندما يتأكد أنها بداية طريق الاندماج السليم مع الآخر ورسم صور حقيقية للأنا غير التي أملاها الآخر عليه، مما يجعل نظرته لـ"مريم" تتغير، حيث

يعتبر مساعدتها في حل مشكلتها بداية لحل مشكلته هو، ففي إعلان هويته العربية قدرة على تحديد مشكلاته الحقيقية، ومن ثم تصبح لديه القدرة على تقديم الحلول المناسبة .

فقد أسهمت شخصية "مريم" بالإضافة إلى مذكرات أبيه، في تغيير مساره، وفي إعادة النظر إلى الأحداث والمواقف التي يحياها، ليؤسس بذلك حياة مختلفة عما سبق، تتمسك بهويتها، ثم تنفتح على الآخر.

مما يعني أن العلاقة بين الأنا والآخر لابد أن تقوم على المعايشة وبناء حوار إنساني بينهما، لا الاعتماد على صور ثابتة جامدة، تتنافى مع التغير المستمر وعدم الثبات الذي تمر به المجتمعات.

٤- **الصور الذهنية وأثرها في رسم العداء داخل الأنا العربية**:

إن إحساس الآخر بفوقيته مقابل تهميش الأنا والانتقاص منها، أدى إلى ظهور اتجاه آخر، يغلب عليه العداء للآخر وكراهيته، فيرفض الاندماج معه، ومن ثم يحاول التشبث بهويته والانغلاق على ذاته.

وأضيف هنا أن الصور الاستشراقية عن الأنا هى المسؤولة عن ذلك؛ حيث إن هذا الاتجاه يعد نتيجة طبيعية لإحساس الأنا بالانتقاص منها، وإحساسها بأنها أقل مكانة من الآخر، مما يضطرها إلى العدول عن الاندماج والبحث عما يحفظ لها مكانتها، فتتحد مع الذين يعانون معاناتها؛ رغبة في بناء كيان خاص بهم، يجمعهم على أرض الآخر، ويمنحهم القدرة على الحصول على حقوقهم المسلوبة.

فحين "يطغى إحساس الأنا بظلم الآخر وهيمنته، تبادر للدفاع عن نفسها خشية الذوبان، فتقوي انتماءها للجماعة، وتتباهى بها من أجل الحصول على الاعتراف ومواجهة الإقصاء، أو المسخ الذي هو الموت، لذلك

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تبحث عن الهوية التي تتميز بها عن الآخر المختلف، وتجمعها بمن يـأتلف بها، كي يزداد إحساسها بكينوتها"(٢٧)

وقد عرض (إدوارد سعيد) لما ذكره (رينان) فـي محاضـرته فـي السوربون، تحت عنوان "الإسلام والعلم"، حيث أكد أن الإسلام ولغته العربية يجسدان الكراهية للعقل ونهاية الفلسفة العقلانية وعداوة متواصلة للتقـدم، وأن الإسلام، بالنسبة للعقل البشري، لم يكن إلا مؤذيا؛ لأنه جعل من البلدان التي حكمها ميدانا مغلقا، أي أن الإسلام أعاد الإنسان إلى عـالم البـدائيين المغلق وابتعد به عن العالم المفتوح للعلم الحديث.(٢٨)

مما يكشف عن سوء فهم للإسلام والمسلمين، كما يؤكد أن اخـتلاف الزاوية التي ينظر من خلالها الرائي إلى الصورة، إلى جانب اختلاف الغرض من التقاط صورة لشيء ما، تسهم في إصدار أحكام مطلقـة ، تبتعـد عـن حقيقة الشيء المصوَّر.

من هذا المنطلق يرى(إدوارد سعيد) أن هؤلاء المستشـرقين الـذين يتجلى دورهم في فهم وتفسير ثقافة الإسلام والعرب، يتعاملون من موقـف عدائي ومعارض، هم عبارة عن موظفين ورهائن بالفعل لسياسـة حكومـة الولايات المتحدة المعادية بعمق للقومية العربية والثقافة الإسلامية. (٢٩)

فالرغبة في السيطرة الغربية على الشرق والعـالم الإسـلامي ككـل، جعلتهم يركزون على دونية الآخر غير الغربي وتخلفه والأخذ بيد المتخلـف إلى التقدم أو الديموقراطية أو الحضارة، مما جعلهم ينظرون نظرة عدوانية إلى الإسلام، فقد تطور الشعور بالإسلام كتهديـد للآخـر، وذلـك بتصـوير المسلمين متعصبين وغير عقلانيين، في أثناء الفتـرة الاسـتعمارية، ممـا جعلهم يطلقون تعميمات فاسدة عن الإسلام، تلك التعميمات أوصلتهم إلى أن الشر المتطرف هو ذلك المتوافق مع الإسلام والعرب؛ لأن ثقافتهم فاسدة.(٣٠)

فقد حصروا الدين في الإرهاب وسفك الدماء كما حاولوا طمس اللغة العربية واستبدالها بلغتهم؛ وذلك لطمس الهوية العربية في أبرز مكوناتها.

مما يعني أن نظرة الآخر إلى الأنا اختلطت بموروث ثقافي، جعل الآخر يهاب الأنا ويختزلها في صور تحيل إلى الإرهاب والتطرف.

ويرى (إدوارد سعيد) أن الصورة المسيئة عن الإسلام لم يتم الرد عليها بعد، وينتقد السياسة الإعلامية للدول العربية، ويعتقد أنه من الممكن جعل الناس يغيرون آراءهم وأن المرور بتجربة وجهة نظر مختلفة وبديلة عن العالم الإسلامي والعربي، يمكن في الحقيقة أن يفتح عقول الناس في الغرب على منظور جديد. (٣١)

إن الصورة التي رسمها العالم الغربي عن الإسلام والمسلمين، بكل ما يحيط بها من زيف، ما هى إلا استمرار للصور الذهنية التي رسمها الاستشراق في دراساته منذ زمن بعيد، تلك الصورة التي تجعل (الآخر الغربي) يوظف وسائل إعلامه ومنظماته المتعددة للإبقاء عليها وترسيخها مع استغلال كل حدث لتأكيدها.

وأضيف أن هذه الصور تمتلك القدرة على الهيمنة على عقل (الأنا العربية)، والتي تواجه (الآخر الغربي) بالعداء، مما يجعلها تشارك في التأكيد على حقيقة تلك الصور الزائفة، وفي هذا الشأن تبدو شخصية "علي" الذي يحذر "نادر الشاوي" من التعامل مع " ليليان الفرنسية" ، ليقول له "لا تنس أنها كافرة " (أن تبقى، ص١٦٥).

إن منطق الفصل بين البشر لأى اعتبارات سياسية أو اجتماعية أو دينية أو عرقية، أصبح متمكنا ومسيطرا على الأنا والآخر معا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتجسد شخصية "الشيخ المختار" العداء الذي تسببت فيه تلك النظرة المتدنية لكل عربي داخل فرنسا، هذا الشيخ الذي جمع مجموعة من العرب، الذين يعيشون حياة مهينة في فرنسا، وحاول أن يكوّن بهم جماعة قوية، بثت الرعب في قلب الآخر، وتلك الجماعة هى التي حاولت مواجهة الآخر وإظهار العداء له؛ ردا على إعلانه العداء لها، حتى أنهم يقومون بـ""عمليات حرق ونهب وتشويه واجهات مبان حكومية بعبارت تدين العنصرية" (أن تبقى، ١٧٦)

و بدلا من تحسين صورة (الأنا العربية) داخل (الآخر الغربي)، فقد حاولت تلك المجموعة تأكيد تلك الصورة، فعندما تحكي "ليليان" الفرنسية عن "المختار" وما فعله في نفوس الشباب الذين جمعهم "أعلم جيدا فضائله. أعاد الشباب المنحرف إلى الطريق المستقيم وأعطى لكل منهم مهنة شريفة. لكنه جعلهم أيضا أشخاصا متعصبين ومنغلقين. انظر إلى مظهرهم كيف صار.. كأنهم يتعمدون البروز بشكل مختلف، لتكريس القطيعة مع حياتهم السابقة.. ومع المجتمع كله!"(أن تبقى،١٧٣)

إن محاولة الأنا التخلص من نظرة الآخر، جعلها تحاول جذب الانتباه إليها؛ كي تشعر بوجودها أولا ومن ثم بقوتها، حتى لو أدى ذلك بها إلى إظهارعداوتها وكراهيتها له.

فقد أسس الآخر لنظرة ضيقة للأنا، مما جعلها تحاول أن ترتد إلى هويتها، لتشعر بقوتها، ولكن الأمر تطرق إلى أبعد من ذلك، حيث" تبرز خطورة هذه النظرية الضيقة التي نجدها لدى العرب والغرب معا، في كونها قد تحوِّل الهوية إلى نوع من التحزب والتعصب، أي إلى انغلاق على الذات ورفض للآخر" (٣٢).

فالأمر ليس بالانبهار المطلق بالآخر وتقليده وطمس الهوية الأصلية وليس برفضه وإقصائه أيضا.

وتختلف ردة الفعل التي يقوم بها "الشيخ المختار" وجماعته التي لقبت نفسها بحراس العقيدة عن ردة الفعل التي تتجسد في "الإمام"، الذي يجمع الشباب المسلم ويحاول أن يبتعد بهم عن العنف والدم، مع رفض الاندماج الكلي، الذي يؤدي إلى التبعية، ورفض الانغلاق والتقوقع حول الذات أيضا، ليقول " فالثبات الثبات يا إخوة الإيمان.. والحذر الحذر من فخاخ الغربة الثلاثة! الفخ الأول يا إخوتي ، هو التبعية. أن يستسلم المرء أمام مغريات الحياة في الغرب وينسى هويته ، فيصبح واحدا منهم ..يعيش كما يعيشون ويأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون والعياذ بالله. يحسبون الاندماج ضالتهم ورضا المجتمع غايتهم، فيتنكرون لأصولهم، يغيرون أسماءهم وأشكالهم وينسون أن للكون ربّا هو أولى بالطاعة والخشية،(...)، أما الفخ الثاني فهو العزلة. أن يبقى المرء في معزل عن المجتمع الذي يعيش فيه ،(...)، أما الفخ الأخير والأخطر فهو العداونية واتباع العنف. وهو أمر للأسف تقع فيه جماعات تسمي نفسها بالإسلامية، والإسلام منها بريء" (أن تبقى، ١٧٨ ،١٧٩).

فقد عرضت الرواية لنموذجين، الأول : "الشيخ المختار" الذي يرد على إقصاء الغرب بالعنف، والثاني : "الإمام" الذي يرى ضرورة الاندماج دون التبعية أوالتخلي عن الهوية .

إن تعدد النماذج يكشف عن وجود أكثر من زاوية لالتقاط الصورة، وأن اختيار الزاوية، هى مهمة المُصَوِّر ذاته، التي تجعله يختارها بناءً على اختلاف الغرض منها، واختلاف الموروث الثقافي المتغلغل في الأذهان.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأقول أن ذلك الأمر يؤكد سوء فهم للإسلام، وأن ما يصدر من بعض الأشخاص لا يمت بصلة للإسلام ولا للمسلمين، بدليل وجود النموذج الثاني وكثرة الشباب المسلم الذين يستمعون إليه ، وقوة حجتهم في الرد على "الشيخ المختار"، ومن تبعه .

فمع تعدد النماذج ينتفي تعميم الحكم المطلق، وتتهاوى الصورة المزيفة، التي وصمت الإسلام بالإرهاب وسفك الدماء.

فقد ربط الاستشراق بين الإسلام والإرهاب ، لذا تعلن الرواية ذلك على لسان الأنا " وماذا يحل بنا من وراء كل هذا؟ يبقى المسلم البسيط الذي لا ناقة له ولا جمل في كل هذه اللعبة القذرة، مسحوقا داخليا بعقدة ذنب تجاه المجتمع، حاملا تهمة أبناء دينه المزعومة.. متقبلا للإقصاء بسكينة وقلة حيلة، لأن ذلك هو قدره ! أن يصنع دينه الإرهاب ويتحمل عنه التبعات بلا اعتراض ! فكلنا مشتركون في الجريمة التاريخية.. لمجرد ولادتنا مسلمين! ألم يأن الأوان لنتمرد على هذه الصورة المهينة ؟ لسنا مضطرين للدفاع عن أنفسنا ودفع تهمة الإرهاب في كل محفل! لسنا فرنسيين من الدرجة الثانية! لسنا سجناء الصورة التي صاغوها لنا وارتضيناها صاغرين !"(أن تبقى، ص٢٧٠).

إن الرواية تعلن بشكل صريح عن زيف الصورة التي انطبعت في ذهن الآخر عن الإسلام، وتعي تماما ضرورة وجود حل لهذه الأزمة.

لذا سيكون الخلاص من هذه الصورة، كما رأى (إدوارد سعيد)، هو الحل الأمثل، حيث يقول شاب آخر ردا على ما يشعرون به من مهانة" بأيدينا أن نقدم أنفسنا للعالم بما نحن عليه.. لا الاكتفاء بنفي ما لسنا عليه!"

(أن تبقى، ص٢٧٠). فالصورة لن تكون صحيحة، إلا إذا استطاعوا أن يصوروا أنفسهم بأنفسهم، لا يمثلهم أحدا، ولا يتولى التعبير عنهم غيرهم.

وحتى وإن تمكنت تلك الصورة من الآخر، وأعلنها في لافتات عريضة على رأس الشارع " الإسلام خارج فرنسا!" و " لا مكان للمسلمين!" (أن تبقى، ص٢٧١).

فتلك اللافتات تعلن ما بداخل الآخر، مهما حاولت الأنا تقديم صورتها الحقيقية، وكشف زيف الصورة المرسومة عنها، فالأمر يستدعي أن ينظر كل طرف في الاتجاه نفسه، فكما يلزم أن تعبر الأنا عن ذاتها، يلزم أيضا أن يرحب الآخر بتلك الصورة الجديدة، ويحاول محاورتها ومناقشتها، لا رفضها دون إعمال عقله فيها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني: أثر الصور الذهنية على الآخر الغربي

ذكرت قبل ذلك أن (إدوارد سعيد) ربط بين المعرفة والسلطة، حيث رأى أن العلاقة بينهما هى التي أوجدت صورا غير حقيقية للشرقي، وطمست وجوده باعتباره إنسانا، فالعلاقة بين الغربيين والشرقيين هي علاقة جانب غربي مسيطر وجانب شرقي لابد من السيطرة عليه، وهو يرى أن المعرفة بالأجناس المحكومة أو بالشرقيين هى التي تجعل إدارة شؤونهم يسيرة ومريحة، فالمعرفة تأتي بالسلطة، وزيادة السلطة تتطلب زيادة المعرفة.(٣٣)

فالقوة تنبع من المعرفة، ثم إقناع الآخر للأنا بأنه يعرف أكثر منها، ومن ثم يمتلك القدرة على تمثيلها؛ لأنها عاجزة عن القيام بذلك.

إن المعرفة تؤدي لزيادة القوة والهيمنة، وكلما تم إقناع الأنا بضعفها وضعف معارفها، كلما تم إحكام السيطرة عليها والاعتراف بالمركزية الغربية، وهذا يقودنا إلى شيء آخر وهو أن رفض الآخر للانفتاح والاندماج مع الأنا؛ لم يكن إلا لترسيخ فكرة التابع والمتبوع، فإذا تم التماهي بينهما وتكسير الحدود الفاصلة، فلن يشعر الآخر بسيطرته وهيمنته، بل ستصبح الأنا شريكة له في كل شيء، لذا فقد انشغل الآخر بتسخير معارفه؛ للسيطرة على الأنا، ومن ثم إضعافها وخضوعها للصورة التي رسمها لها فحسب.

إن كتب الاستشراق قدمت صورة للعرب بأن عقلهم لا يقبل المنطق، "فالأوروبي يُحكم الاستدلال الدقيق، وذكره للحقائق لا يشوبه أي غموض، فهو منطقي بالفطرة، حتى ولو لم يكن درس المنطق(...)، أما عقل الشرقي فهو يشبه شوارعه الخلابة المظهر، أي يفتقر إلى أي تناسق، والاستدلال لديه أبعد ما يكون عن الإتقان"(٣٤)

تلك الصورة التي انطلقت منها الدراسات الاستشراقية، تحاول من خلالها التأكيد على امتلاكها القدرة على تصوير (الأنا العربية)؛ وذلك لعجزها عن تمثيل ذاتها، وإن كان تمثيل المختلف يعد مظهرا من مظاهر السلطة والهيمنة ومحاولة إقصائه والتحدث بلسانه، "فالتمثيل مرتبط بحتمية القوة / العجز، أي قوة المُمثِّل وضعف المُمثَّل" (٣٥)

وقد اعتمد (الآخر الغربي) على مؤسساته وقنواته؛ كي يبث تلك الصورة ويؤكدها ، ومن ذلك ما جاءت به الرواية من توظيف وسائل الإعلام الموجهة، في رسم صورة للدكتور"عمر"، تتهمه فيها بالإرهاب، ورغم حصوله على البراءة، إلا أنه لم يسلم من نظرة الآخر إليه، فقد تم تعطيل حصوله على تصريحات وتجهيزات، حتى نفذ صبره؛ لأن " السياسة العامة للبلاد كانت متناقضة مع نفسها" (أن تبقى، ٣٧٤).

إن تناقض السياسة العامة للدولة مع نفسها، تجعلها تتحدث وتصرح بما لا تفعله، إنها لا تفعل إلا ما طُبعت عليه من إقصاء للأنا العربية ووضعها في إطار لا يمكنها الخروج منه، لتبقى هي صاحبة السيادة والهيمنة على كل ما عداها.

إن الآخر يحاول إقصاء وتهميش كل ما يؤكد زيف الصور التي انطبعت في الأذهان، وحتى حين يشعر بتقدم الأنا أو بتفوقها، يحاول الخلاص منها، لتبقى للصور وجودها كما هي، وحتى لا يشجع على التفكير في مدى زيف تلك الصور، فمجرد التفكير فيها يعد بداية سقوط للمركزية الغربية التي عمل الاستعمار على ترسيخها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويمكن رصد أثر الصور الذهنية على نظرة الآخر للأنا فيما يلي:

١- الخوف من الأنا العربية :

إن خوف الآخر من الأنا، أسهم في رغبة الآخر في ترسيخ تلك الصور؛ حتى يتمكن من السيطرة عليها، فـ"ثمة علاقة مباشرة بين الهيمنة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأنظمة التصوير التي يجب تدميرها؛ لأنها تحمل نوعا من السلطة القمعية؛ لأنها لا تسمح ولا تدع مجالا من قبل المصوَّر "(٣٦)

واستمرت تلك الصور في الحضور، بل واتخذت شكلا أعمق من ذلك، فالخوف الذي كان سببا في رسم تلك الصور، تسرب إلى مجتمع الآخر، حتى ترسخ بداخله الخوف من الأنا، مما جعله يحاول الابتعاد عنها، فتصوير الأنا بالهمجية والرجعية والعنف أدى إلى تجنب الآخر لها، فالصورة التي تترسخ في ذهن الآخر دوما أن " العرب كتلة واحدة .. ما أن تنطق بالكلمة، حتى تتداعى من ورائها قائمة طويلة من الأوصاف، من ضمنها الهمجية والتخلف والإرهاب"(أن تبقى، ٢٥٠)

فكلمة " العرب" في حد ذاتها تستدعي إلى الأذهان صورة محددة لا تتغير بمرور الزمن، بل إنهم يبحثون عما يؤكدها ويدعمها.

فكل (أنا عربية) متهمة في نظر الآخر بهذه الاتهامات، لذا فأغلبيتهم يرفضون الاندماج انطلاقا من هذه الصور التي ترسخت في أذهانهم، فهم، كما يصورهم الآخر في الرواية"أشخاص منبوذون، مشاريع إرهابيين، تأذى منهم جيرانهم فطردوهم إلى المناطق المهجورة. وماذا لو انهار منزل أحدهم فوق رأسه ، ها ؟ إنها مجرد نفس خبيثة نتخلص منها!" (أن تبقى، ٣٦١)

تلك الصورة التي ترسخت عن العرب بشكل عام، توضح الأخذ بالتوزيع الجغرافي في الفصل بين البشر، كما تؤكد انتشار العنصرية المدعمة بالقوانين.

ويدعم ذلك ما جاء في الرواية، لتذكر مساندة الآخر للعنصرية، حتى أصبحت "عنصرية مدعمة بالقوانين والدستور، تجاهر بها المؤسسات الحكومية والعامة، وينحني أمامها المواطن من دون اعتراض أو استنكار. ليست ممثلة في لافتات لصيقة أو علامات وقحة على مداخل المنشآت ووسائل النقل مثلا.. لكنك تتنفس ذراتها في الهواء الثقيل الخانق، وتتشربها مسامك حد التسمم، كلما واجهتك النظرات العدائية الحارقة" (أن تبقى، ٢٨١)

إن سياسة الإقصاء التي يتبعها الآخر، ورفضه للاندماج مع الأنا، يحمل رغبة الآخر للانغلاق على ذاته، ويدعم الخوف الدفين الذي تمكن منهم، وينفي أي محاولة لإقامة حوار إنساني مع الأنا، بل ويقوي الحدود الفاصلة بينهما، مما يؤدي إلى الانعزال.

وتؤكد الرواية ذلك، حيث إن الفصل بين الأنا والآخر أدى إلى أن "أصبحت فرنسا بلدا منعزلا، حدوده مغلقة، شديد التقسيم في الداخل ،ومع ذلك يستمر كابوس الخوف من الآخر" (أن تبقى، ٢٨١)

فالخوف من الأنا ظل مترسخا في ذهن الآخر، رغم محاولاته المستميتة في تجنبها ومحاولة عزلها وإقصائها، مما يؤكد أن الحل لم يكن في الانعزال، بل في خلق جسور للتفاهم بينهما.

وأضف إلى ذلك أن الهوية العربية لم تكن عبئا على (الأنا العربية) في تعاملها مع الآخر، بل كانت عبئا وكابوسا على (الآخر الغربي)، فعندما أعلن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"خليل الشاوي" عن حملته الانتخابية، وصرح أنه سوف يتكلم باسم الفرنسيين جميعا، بمن فيهم من يحمل أصولا عربية أو إفريقية أو آسيوية، وشعر الفرنسيون أنه يساوي بينهم وبين غيرهم، ما كان منهم إلا التجمهر خارج المبنى، حيث تقول الرواية"فقد كانت جموع غفيرة قد تجمهرت عند مبنى القناة المحلية تحمل لافتات عليها صورته مشطوبة بالأحمر ومشوهة بقرون وأنياب وعبارات بذيئة" (أن تبقى، ٣٨٠)

ففكرة إلغاء الحدود الفاصلة والجمع بين مختلف الأجناس والهويات فكرة مرفوضة في حد ذاتها، رغم أن "المشكلة الأساسية تتمثل في كيفية التوفيق بين هوية المرء الخاصة وحقائق ثقافته ومجتمعه وتاريخه من ناحية، وبين حقائق الهويات والثقافات أوالشعوب الأخرى، ولا يمكن أبدا أن يتخذ ذلك فحسب صورة تفضيل المرء لما ينتمي إليه بالفعل، ولا يجدر بالمفكر أن يهدر طاقته في الحديث الرنان الطنان حول أمجاد حضارتنا "نحن" أو انتصارات تاريخنا "نحن"، وخصوصا في أيامنا هذه التي أصبح كثير من المجتمعات فيها تتكون من أجناس وخلفيات تستعصي على الاختزال في صيغ محددة" (٣٧)

وهذا هو ما توصل إليه "خليل الشاوي"، فقد" عاش تجربة كاملة ومدهشة خلال أسبوع واحد، عرف خلالها من يكون، وجد لنفسه دورا وهوية وانتماء، حدّث بياناته في سجلات لا وعيه وأصبح أكثر رضا وقناعة عن كينونته ووجوده"(أن تبقى، ٣٨١)

ولا يمكن إنكار قيام البعض بقبول الاندماج مع الأنا، ولكنها حالات قليلة جدا، تجسدها الرواية في قبول "ديانا" الفرنسية الزواج من "نادر الشاوي"، ومن مساندته والوقوف بجواره، كما تجسدها أيضا محاولة بعض

الفرنسيين تسمية أبنائهم بأسماء شرقية؛ كـ"نوع من مواكبة العولمة وتحطيم للحدود الجغرافية التي تصر دولتهم على حمايتها بأسلاك شائكة " (أن تبقى، ٩٩)

ولكن الأكثر بروزا وحضورا هو رفض الاندماج ومحاولة الفصل التام وعدم تهيئة الفرص للتفاهم مع الأنا.

٢- **الانتقاص من الأنا العربية** :

إن الصور التي نسجها الآخر للأنا، تعد انتقاصا منها في حد ذاتها؛ لأنها تحيل إلى عدم قدرة الأنا العربية على التعبير عن ذاتها، فهي "تكاد تشمل على الدوام شكلا من أشكال العنف تجاه موضوع التمثيل "[٣٨]

ولما كانت تلك الصور وُظفت بغرض السيطرة، فقد أدت إلى إرساء مبدأ الانتقاص من الأنا، دون التفكير في ذلك ودون تغييره رغم مرور الزمن، ورغم التواصل الذي خلقته وسائل الاتصال المتعددة، حيث "إن التأمل والحوار والجدال والبرهان العقلي والمبدأ الأخلاقي المبني على فكر دنيوي (علماني) الذي يجب أن تجعله الكائنات الإنسانية تاريخا لها، حلت محله الأفكار النظرية المجردة التي تمجد الفرادة الأمريكية أو الغربية وتنظر إلى التيارات الأخرى باحتقار"[٣٩]

فعندما حاولت الدولة إخراج العرب من بيوتهم، حاولت أن تنتقص من شأنهم، وأن تؤكد لهم أنها صاحبة الكلمة، وأنها تفعل ما تشاء، فـ" المنتقلون الأوائل استفادوا من تسهيلات الدولة ودعمها لحركة الهجرة، فغنموا مساكن فاخرة حديثة التشييد. كان انتقالهم طوعيا، فكافأتهم الدولة لدعمهم سياستها المرتكزة على الخوف. أما من تلكؤوا وباطؤوا، وعرقلوا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نظام التقسيم الجديد، فقد عوقبوا شر عقاب المطرود من منزله لا يُهدى منزل الأحلام، ولا يعوض عن خسارته، إنه يطرد وحسب"(أن تبقى، ٢٨٧)

إنهم يحاولون الانتقاص من شأن العربي وفرض السيطرة عليه، ليعيش في المكان الذي اختاروه له، ويغادر المكان الذي عاش فيه مدة طويلة، فهم أصحاب السيطرة والفوقية.

ولم يكن الأمر كذلك فحسب، بل إنهم يعاقبون كل من حاول الاندماج معهم، ففى إحدى مذكرات "نادر الشاوي" لابنه حكى له عن جده، الذي استغل مظهره الحسن وزرقة عينيه وحمرة ونضارة وجهه في غمار الحرب العالمية الثانية، فقد " كانت وجبات الطعام التي تقدم إلى المتطوعين والمهجرين العرب والأفارقة كريهة غير مستساغة. يملؤون بها البطون كرها كما تملأ الأكياس بقطع الحجر، حتى لا يغشى عليهم من الجوع. وكان جدك يتسلل خلسة إلى طابور المقاتلين الأوروبيين، حيث الوجبات الدسمة الشهية . يندس بين الأوكرانيين والصرب والكرواتيين، فلا يميز من بينهم. يلتهم أكلة ساخنة تسيل اللعاب،(...)، وصل القائد على حين غرة في فترة توزيع الطعام، سار بين الصفوف مفتشا والشرر يتطاير من عينيه، وما لبث أن عثر على جدك .أمسك بتلابيبه وجره أمام نظرات الجنود المدهوشة .أراده أرضا وسحق وجهه بحذائه العسكري الغليظ، ثم استل مدية حادة وغرسها بكل قوته في ساق جدك الملقى من دون مقاومة،(...)، وصاح في شماتة : – هذا سيكون عقاب كل من تسول له نفسه السخرية من أسياده"(أن تبقى، ١١٤)

إن مبدأ الحاكم والمحكوم الذي عززه الفكر الاستعماري، تناقلته الأجيال، حتى تربى الآخر على الانتقاص من قيمة الأنا، والرغبة المُلحّة في السيطرة عليها.

٣- ترسيخ وسائل الإعلام للصور الاستشراقية عن الأنا في ذهن الآخر الغربي:

إن الدراسات الاستشراقية لا تمتلك القدرة بمفردها على ترسيخ تلك الصور حتى الآن، ولكن المركزية الغربية أرادت أن ترسّخ تلك الصور، من خلال الاعتماد على مؤسساتها وأنظمتها وقنواتها المتعددة، من هنا يتجلى دور الإعلام بما يمتلك من قدرات في عرض الصورة، وترسيخها.

فقد استغل الآخر وسائل الإعلام في المحافظة على وجود تلك الصور، وترسيخها داخل الأنا والآخر معا، لذا تقول المذيعة " أمامي شاب فرنسي تربى في ضواحي باريس، من أم فرنسية.. لكنه يحمل اسما عربيا، مثل أبيه الذي توفى منذ سنوات طويلة.الآن، من حق الناخب أن يتساءل، لمصلحة من سيقف خليل الشاوي في البرلمان الفرنسي؟ هل سيمثل مصالح الفرنسيين من أصول عربية؟" (أن تبقى، ص٣٧٦).

إن الإعلام يعرف كيف يتعامل وكيف يوجّه الجمهور إلى الوجهة التي يرضاها، فتلك الصورة التي يخلقها الإعلام في عقل المواطن الغربي ويؤكدها بداخله، تتناقض تماما مع التحول والتغير المستمرين، وأن المجتمعات والجنسيات تتلاقى على أرض واحدة أو من خلال وسائل التواصل المتعددة، والتي جعلت مبدأ الثبات حول فكرة أو وجهة معينة أمرا محال، بل إن الفصل بين البشر لاختلاف انتمائهم العرقي، بدا منفصلا ومتناقضا مع الواقع، لذا فـ"خليل الشاوي" يرد على المذيعة قائلا " العالم أصبح قرية صغيرة ..لكننا في فرنسا ما زلنا نتعامل بعضنا مع بعض، نحن الفرنسيين الذين نشأنا على أرض واحدة، ونتكلم لغة واحدة، ويجمعنا حب وطن واحد، نتعامل من منطلق "الأصل" و "التقليد" . إن لم تكن فرنسيا من أصول صرفة ــ أو أوربية على الأقل فأنت مشكوك في ولائك! ماذا يعني أن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أكون فرنسيا من أصول جزائرية أو صينية أو مكسيسكية؟ ألست أعيش على هذه الأرض ، ويهمنى استقرارها ورخاؤها؟ ما دامت منحت الدولة الجنسية الفرنسية لأي فرد ، فقد أصبح مواطنا، ومن حقه أن يقف ممثلا في مجلس النواب ويتكلم باسمه- مثل أي فرد آخر- ويسهر على عدم استثنائه من القوانين أو حرمانه من الحقوق!" (أن تبقى ، ص٣٧٧).

يشهد المقطع حالة من التحول في (الأنا العربية)، والتي كانت تحاول التخلص من هويتها العربية؛ حتى تستطيع الاندماج مع الآخر، لكنها تحولت إلى الدفاع بقوة عن هويتها العربية.

إن محاولات الغرب المستمرة في فرض الهيمنة على كل ما عداهم، تجعلهم يحاولون نبذ وإقصاء كل من يختلف عنهم، بل وعدم إقامة حوار معه، حتى أنه عندما يعلن عن نيته في الدفاع عن كل من يجمعهم الوطن، تتجاهل المقدمة كلامه "لم يكن من المستغرب بعد ذلك أن تتجاهله المقدمة حتى نهاية الحلقة مباشرة البث. انشغلت عنه بضيوفها الآخرين ، مرشحون منافسون ومحللون سياسيون. علقوا بكلمات باهتة على مشروعه الجريء"(أن تبقى، ص٣٧٩).

إن سياسة الإقصاء للمختلف تتصدر المشهد، دون ترك مساحة وحيز لسماع ذلك المختلف، فكونه مختلفا يستدعي تهميشه وفي ذلك اتجاه إلى نفي المختلف وعدم احترام ما يدّعونه من احترام للرأي الآخر.

فالصور تسعى إلى إسكات (الأنا العربية) وتهميشها، ومن ثَمّ يكمن الحل في " الاعتماد على نظام تصويري يتميز بالمشاركة والتعاون بلا إكراه أو فرض"(٤٠)

إن أجهزة الإعلام تعمل قسرا حتى تلائم القوالب التي تتخذ أشكالا موحدة يوما بعد يوم، وقد أدى استخدام الأشكال الموحدة والقوالب النمطية الثقافية إلى تدعيم سيادة النظرة إلى الشرق الغامض باعتباره شيطانا. (٤١)

ذلك الهراء الذي سمعه من كل من حوله، كشف له زيف كل شيء، وبانتهاء البث " كانت جموع غفيرة قد تجمهرت عند مبنى القناة تحمل لافتات عليها صورته مشطوبة بالأحمر ومشوهة بقرون وأنياب وعبارات بذيئة "(أن تبقى، ص٢٧٨).

وهذا المشهد يكشف عن زيف شعاره الانتخابي، وعدم قدرته على تحقيقه؛ لرفض الآخر للاندماج، ولسعيه المستمر للفصل بين البشر لاختلافهم العرقي، حتى ولو كانوا يعيشون على أرض واحدة، لذا فهو يعلنها قائلا لذاته " ماذا تقول إذن ؟ الوطن للجميع؟! يا للهراء! " (أن تبقى، ٣٦٣).

انتهت الرواية إذاً بالوصول إلى عمق المشكلة، وأكدت ضرورة التمسك بالهوية العربية، قبل الاندماج مع الآخر وإقامة جسور للتواصل والتفاهم بينهما.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة :

إن الولوج إلى العالم الداخلي للرواية وربطه بما ترسخ في الأذهان من صور، أسستها الهيمنة الغربية، وبما يحدث في الواقع الراهن أيضا، أدى إلى توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، منها:

- ضرورة إيجاد لغة للتواصل بين الأنا والآخر، تلك اللغة تقوم في المقام الأول على اعتراف كل منهما بهويته، مع قبول فكرة الانفتاح مع المُختلف ، ثم محاولة إيجاد قنوات للتفاعل وذلك من خلال الحوار بينهما، وهذا لن يتم إلا إذا تخلى الآخر الغربي عن الصور الذهنية التي ترسخت بداخله للأنا العربية واستطاع تفهُّم الصورة الحقيقية له في ظل العولمة وما تحمله من تحول على كافة المستويات.

- ضرورة الاعتراف بالاختلاف بين البشر، مهما توحدت هوياتهم، ومهما جمعهم توزيع جغرافي واحد، فالإيمان بطبيعة البشر تكشف عن الاختلاف بينهم، سواء في التفكير أو في التفاعل مع الأحداث أو في الاندماج مع الغير .

- إن القضية تكمن في السياسات العامة للدول الغربية ، ومبدأ السيطرة الذي تفرضه على المُختلف، حتى لا ينفرط عقدها وتشعر بضعفها.

- إن التقدم التكنولوجي، رغم قدرته على إذابة الحواجز بين البشر، سواء الجغرافية أو السياسية أو الثقافية، عجز عن إنهاء الجدل في قضية الأنا والآخر؛ وذلك بسبب استمرار الدول الغربية في التأكيد على هذه الصور وعدم إعطائها الفرصة للأنا لتمثيل ذاتها.

- إن انتهاج الفوقية والمركزية للغرب مع إعلان سياسة الإقصاء والنفي للمختلف والسخرية من لونه أو هويته أو دينه، لم تستطع أن تجعل

الآخر يتمتع بمكانته التي عمل على تأكيدها منذ زمن بعيد، بل إنها كشفته وأفصحت عن المخبوء، الذي يأبى الفكر الغربي الاعتراف به.

– الاستعانة بالمذكرات كان له دورٌ فاعل في التأكيد على زيف تلك الصور، ومحاولة توجيه (الأنا العربية) إلى الاعتراف بهويتها، وأنها ليست السبب في عدم ثقتها بنفسها، بل إن التخلي يُنشئ ضعفا في الذات، ويجعلها هشة قابلة لمبدأ التابع الذي يجعلها ترضى بوضعها في قوالب نمطية ظالمة.

– كشفت الرواية عن أن السعي المستمر إلى التأكيد على ضعف الأنا العربية يكشف بشكل ضمني عن رغبة في إيجاد أسباب مُقنعة لقيام الآخر القوي بتمثيل الأنا؛ لأن ضعف الأنا يشهد للآخر بقوته، وبالتالي ينفي التأكيد على الفكر الاستعماري ويؤكد زعمهم بأن تلك الصور لم ترسم بدوافع استعمارية سياسية تهدف إلى السيطرة وإحكام قبضتهم على المختلف عنهم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الهوامش:

(١) انظر :إدوارد سعيد: (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، تر:محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع ،مصر، ٢٠٠٨م، ص٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨.

(٣) صلاح الجابري: (الاستشراق- قراءة نقدية)،ط١، دار الأوائل للنشر والتوزيع، سورية ، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٢٥.

(٤) إدوارد سعيد : (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، ص٢٦.

(٥) انظر : إدوارد سعيد ، برنارد لويس، (الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية)، ط١، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٢٦، ١٢٧.

(٦) إدوارد سعيد : (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، ص١٩.

(٧) ماجدة حمود محمد : (إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية)، مجلة الموقف الأدبي، مج ٤١، ع ٤٩٢، ٢٠١٢م،ص١٩.

(٨) إدوارد سعيد: (السلطة والسياسة والثقافة)، تقديم : غاوري فسوناثان، تر : د. نائلة قلقيلي حجازي، ط ١، دار الآداب، بيروت، لبنات، ٢٠٠٨م، ص٢٠.

(٩) إدوارد سعيد : (المثقف والسلطة)، ط١، ترجمة وتقديم : محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٥٧.

(١٠) إدوارد سعيد: (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، ص١٩، ٢٠.

(١١): إدوارد سعيد : (خيانة المثقفين – النصوص الأخيرة)، تر : أسعد الحسين، دار نينوي ، سورية، دمشق، ٢٠١١م، ص ٢٣٢.

(١٢) انظر: إدوارد سعيد : (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، ص ٦.

(١٣) ماجدة حمود : (إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية)، ص١٥.

(١٤) المرجع نفسه ، ص١٦.

(١٥) المرجع نفسه ، ص١٦.

(١٦) انظر: عبد الله إبراهيم : (المركزية الغربية – إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٥.

(١٧) منذر الكيلاني : (الاستشراق والاستغراب – اختراع الآخر في الخطاب الانثروبولوجي)، (صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه)، تحرير : الطاهر لبيب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٩٩م، ص٨١.

(١٨) انظر إدوارد سعيد : (الاستشراق– المفاهيم الغربية للشرق)، ص٢٨.

(١٩) نور الدين البصير : (المثاقفة بين غياب الأنا وحضور الآخر)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع ٢٠، ٢٠١٨م، ص١٠٢.

(٢٠) إدوارد سعيد : (تغطية الإسلام)، تر : .محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١١.

(٢١) انظر: إدوارد سعيد : (الاستشراق– المفاهيم الغربية للشرق)، ص٥١.

(٢٢) انظر: إدوارد سعيد : (تعقيبات على الاستشراق)، ترجمة وتحرير : صبحي حديدي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٤٢.

(٢٣) انظر: إدوارد سعيد: (الثقافة والمقاومة)، حاوره : دايفيد بارساميان، تر: علاء الدين أبو زينة، ط١، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٧م، ص٨٦، ٨٧.

(٢٤) انظر :إدوارد سعيد (الثقافة والإمبريالية)، ط٤، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤م، ص٣٩٢،٣٩١.

(٢٥) ماجدة حمود محمد : (إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية)، ص١٧.

(٢٦) المرجع نفسه ، ص١٧.

(٢٧) المرجع نفسه، ص١٩.

(٢٨) إدوارد سعيد : (العالم والنص والناقد)، تر : عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص ٣٦٢،٣٦١.

(٢٩) انظر: إدوارد سعيد: (القلم والسيف)، حوارات مع دافيد بارساميان، ط١، تر: توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٢٥.

(٣٠) انظر: إدوارد سعيد:(خيانة المثقفين– النصوص الأخيرة)، تر: أسعد الحسين، دار نينوي ، سورية، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٩، ٢٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(٣١) انظر: إدوارد سعيد: (القلم والسيف)، حوارات مع دافيد بارساميان، ط١، تر: توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٨١.

(٣٢) ماجدة حمود محمد : (إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية)، ص١٧.

(٣٣) انظر إدوارد سعيد : (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، ص ٧٩ .

(٣٤) المرجع نفسه، ص٩٤.

(٣٥) نسيمة حارثي : (التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ)، مجلة آفاق للعلوم، ع ١٠، جامعة الجلفة، ٢٠١٨م، ص٢٦١.

(٣٦) إدوارد سعيد: (السلطة والسياسة والثقافة)، تقديم : غاوري فسوناثان، تر: د. نائلة قلقيلي حجازي، ط ١، دار الآداب، بيروت، لبنات، ٢٠٠٨م، ص٦٦.

(٣٧) إدوارد سعيد : (المثقف والسلطة)، ط١، ترجمة وتقديم : د.محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٥٨.

(٣٨) إدوارد سعيد: (السلطة والسياسة والثقافة)، تقديم : غاوري فسوناثان، تر : د. نائلة قلقيلي حجازي، ط ١، دار الآداب، بيروت، لبنات، ٢٠٠٨م، ص٦٥.

(٣٩) إدوارد سعيد : (خيانة المثقفين – النصوص الأخيرة)، ص ١٨.

(٤٠) إدوارد سعيد: (السلطة والسياسة والثقافة)، ص٦٦.

(٤١) انظر: إدوارد سعيد : (الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق)، ص٧٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- خولة حمدي: (أن تبقى)، رواية، دار كيان للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٦م.

ثانيا : المراجع

١. إدوارد سعيد:

- (الثقافة والإمبريالية)، ط٤، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ٢٠١٤م.
- (خيانة المثقفين – النصوص الأخيرة)، تر: أسعد الحسين، دار نينوي ، سورية، دمشق، ٢٠١١م.
- (الاستشراق– المفاهيم الغربية للشرق)، تر: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٨م.
- (السلطة والسياسة والثقافة)، تقديم : غاوري فسواناثان، تر: د. نائلة قلقيلي حجازي، ط ١، دار الآداب، بيروت، لبنات، ٢٠٠٨م.
- (الثقافة والمقاومة)، حاوره : دايفيد بارساميان، ط١، تر: علاء الدين أبو زينة، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٧م.
- (المثقف والسلطة)، ط١، تر : محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٦م.
- (تغطية الإسلام)، تر: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٦م.
- (العالم والنص والناقد)، تر: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
- (القلم والسيف– حوارات مع دافيد بارساميان)، ط١، تر: توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٨م.
- (تعقيبات على الاستشراق)، تر: صبحي حديدي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

٢. برنارد لويس، إدوارد سعيد:(الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية)، ط١، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٤م.

٣. صلاح الجابري: (الاستشراق– قراءة نقدية)،ط١، دار الأوائل للنشر والتوزيع، سورية ، دمشق، ٢٠٠٩م.

٤. عبد الله إبراهيم : (المركزية الغربية – إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات)، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥. منذر الكيلاني : (الاستشراق والاستغراب – اختراع الآخر في الخطاب الانثروبولوجي)، من كتاب (صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه)، تحرير : الطاهر لبيب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٩٩م.

ثالثا : الدوريات

١. ماجدة حمود محمد : (إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية)، مجلة الموقف الأدبي، مج ٤١، ع ٤٩٢، ٢٠١٢م.

٢. نسيمة حارثي : (التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ)، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، ع ١٠، ٢٠١٨م.

٣. نور الدين البصير : (المثاقفة بين غياب الأنا وحضور الآخر)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع ٢٠، ٢٠١٨م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٢٨٦٥
٢.	Abstract	١٢٨٦٦
٣.	مُقدِّمة	١٢٨٦٧
٤.	مدخل نظري: إدوارد سعيد ومذهبه الثقافي ورؤيته لمصطلح التمثيل	١٢٨٧٢
٥.	ملخص عن أحداث رواية (أن تبقى) للكاتبة خولة حمدي:	١٢٨٧٨
٦.	المبحث الأول : أثر الصور الذهنية الاستشراقية على الأنا العربية	١٢٨٨٠
٧.	المبحث الثاني: أثر الصور الذهنية على الآخر الغربي	١٢٩١٠
٨.	خاتمة :	١٢٩٢٠
٩.	الهوامش	١٢٩٢٢
١٠.	قائمة المصادر والمراجع	١٢٩٢٥
١١.	فهرس الموضوعات	١٢٩٢٧

تم بحمد الله